مع الكتب

الدكتورة سهير القلماوي





مختارات الإذاعة

مع الكتب

للدكتورة
سهير القلماوى



فلسفة الثورة

للرئيس جمال عبد الناصر

من سلاسل الكتب التى بدأت تظهر حديثا أستجابة لرغبة الجمهور القارىء الملحة سلسلة اخترنالك وتمتاز هذه السلسلة التى تصدر باشراف الصاغ أمين شاكر أن لها هدفا معينا تريد أن تحققه . فأكثر السلاسل الدورية قد تميزت بطابع خاص أو اختصت بناحية معينة من نواحى اهتمام القراء ، ولكن هذه السلسلة لا تكتفى بطابع أو بميزة وانما ترمى الى هدف وهذا الهدف هو ايقاظ الوعى القومى فى القراء وتغذيته بكل مايقوى الأحساس الصحيح بعلاقة الفرد بمواطنيه وبعلاقة المصرى بوطنه .

ولقد أخرجت حديثا « العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد » . وأخرجت قبل ذلك كتاب « فلسفة الثورة » للرئيس جمال عبد الناصر . وكتاب فلسفة الثورة قديم حديث ذلك أنه طبع أكثر من مرة وترجم للفرنسية والانجليزية ولغيرهما من اللغات . وأكثر الظن أن هذا الكتيب الصغير سيظل يطبع ويترجم لعدة لغات لا لأن مؤلفه يلعب دورا هاما فى تاريخ مصر الآن فحسب ولكن لأن الكتاب يصور طورا هاما من أطوار حياة مصر وقد أتجهت اليها اليوم أنظار العالم كله تنتظر منها المعجزات .

زارتنى فى بعض الأيام جماعة من شباب الجزائر جاءوا عبر الشاطىء الأفريقى فى سيارات الحجاج ووقفوا بمصر يدرسون وقد جاءوها لايحملون دولارا ولا جنيها استرلينيا وانما يحملون عقولا تفكر ونظرات تتطلع . فلما سألتهم وما الذى جعلهم يتكبدون تلك الرحلة فى مثل هذا الفصل من العام . قالوا أننا لانسمع من أخواننا طوال هذه الأشهر الأخيرة الا كلمة مصر . وآمالهم المعقودة على مصر . قالوا لنا ونحن لانفهم كلامهم اذهبوا

الى مصر تروا ماذا يعلق عليهامن الآمال · ولما كنا محدودى الموارد فلقدرأينا أن السفر على هذا النحو فى مثل هذا الفصل هو أقل الوسائل نفقة · وكان كتاب جمال عبد الناصر فى يدهم وكانوا فيه يقرأون ويسألون احقا هذا أصحيح ذاك ·

لقد صور زعيم الثورة روح مصر الحقيقية فى بضع صفحات وحال مصر الحقيقة فى بضع أخر وتطلع مصر الى مستقبل واسع زاخر فى بضع أقل · ومع هذا خرجت الصورة الطبيعية التى لازخرف فيها ولاادعاء ولا مقدمات فيها ولا استنتاجات ، صورة هادئة قوية لما يحسه كل مصرى ، وصورة صادقة قوية لهذه الفترة الحرجة الخطيرة التى يعبر عنها الرئيس بأنها الصحوة المفاجئة لنائم طال عليه النوم ، بل كاد أن يموت ، يصف هذه الصحوة فيقول : « لقد كنا (نحن المصريين) أشبه بمريض قضى زمنا فى غرفة مغلقة ، واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة ، حتى كادت أنفاس المريض تختنق ، وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والابواب وتدافعت تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى مازال يتصبب عرقا ·· لقد كان فى حاجة الى نسمة هواء فانطلق عليه اعصار عات وانشبت الحمى أظفارها فى الجسد المنهوك القوى ، هذا هو ماحدث لمجتمعنا ·· وكانت تجربة محفوفة بالمخاطر » ·

ومرت مصر بهذه التجربة وسلم المريض بفضل الله وبفضل الروح المصرى الذى لم يقهر بالمحن ولا شدتها ولا بالسنين ولا طولها ، واذا المصريون يسيرون وقد برئوا واذا هم قد سلموا من الحمى والمرض يريدون الوقاية لا العلاج ، ويسعون لقوة الابدان وصحتها وتفوقها فى ألعاب القوى بعد أن كانوا يتنسمون النسمة التى تخفف من آلام المرض ·

ولكن المهمة شاقة عسيرة والآمال واسعة عريضة ، أما المهمة الشاقة فيرسمها لنا الرئيس فى الفصل الثانى ، وأما الآمال الواسعة العريضة

التي يبررها واقع ثابت لايمكن أن نغفل عنه فهو مايرسمه في الفصل الاخير .

ان زعيم الثورة يعتقد أن الشعب المصري صنع معجزة لانه استطاع أن يصمد لكل الظروف التي تألبت عليه منذ الحروب الصيبية ، وقد خاض غمارها أكثر من خاض ، وخسر فيها أكثر من خسر ، وأخذت عوامل التفرقة والتفكك والانحلال تتكالب عليه جيلا من بعد جيل ، ولكنه صمد وصحا . وهو يعتقد أيضا أن الشعب المصري يصنع اليوم معجزة ، ذلك أن الثورات تقوم عادة عنيفة ثائرة صاخبة وتستلزم بعض الوقت حتى تستقر الاوضاع وتهدأ الفورات ، ثم تأتي الثورة الاجتماعية الشاملة التي تقوى بنيان ماقامت به الثورة الدامية وتشد من أزرها لتطاول الزمن ، ولكن شعب مصر لايريق قطرة دم في ثورته ويستطيع قادته في هذه الظروف الحرجة أن يسيروا به عبر الثورة سريعا الى الاصلاح فاذا نداء التخلص من الطاغية يتبعه بعد أيام نداء باصلاح بناء المجتمع من جذوره وكانت لبنة هذا الاصلاح الاولى هي تحديد ملكية الارض ، ثم يسير الاصلاح قدما ، لابد من تنمية الموارد ولابد من حماية العامل والفلاح ولابد من نشر التعليم ولابد ولابد .. وفي ظرف عامين اثنين كما دلت البيانات التي تضمنها خطاب الرئيس منذ يومين في عيد الثورة تقفز بمصر في شهور مالم تكن تقوى على نتف منه في أعوام وأعوام ، يكفي من هذا بيان عدد المدارس التي بنيت فلقد بلغت في ثلاثة أعوام احدى عشرة مدرسة وبلغت في عامين من الثورة ثلاثمائة وسبعين

والرئيس في كتابه كما كان في خطابه يخاطب العقول بالارقام ، انه هو هو لم يتغير ، يقول في فلسفة الثورة : « لقد كان يجب أن نتكلم بصراحة ، أن نخاطب عقول الناس ، وكان الذين سبقونا قد تعودوا أن يقولوا للناس مايريدون أن يسمعوه .. ما أسهل الحديث الى غرائز الناس وما أصعب الحديث الى عقولهم » .. ولقد سمعناه يردد نفس هذه الكلمات مرات في خطبه ..

وللتحدث الى عقول الناس كان لابد من تفسير الثورة لماذا قامت سلمية .. لماذا قام بها الجيش دون سائر الطبقات ؟ « لأن الموقف كان يتطلب أن تقوم قوة يقرب مابين أفرادها اطار واحد ، يبعد عنهم الى حد ما صراع الافراد والطبقات ، وأن تكون هذه القوة من صميم الشعب » ..

ولماذا لم يقم الثوار بالقتل والبتر والتمثيل ؟ لأن نفسية الشعب المصرى وروحه الذين يتجليان قويا فى كل فرد من أفراده ، يكره العنف ، ولا يمكن أن يرضى عن خير يستتبعه حتما شر كثير .. ولماذا ظلت محاكمات الغدر فترة والثورة تدعو الى الاتحاد ؟ ولماذا ظلت الثورة تأخذ من الملاك والموظفين لتعطى المجموع ، وتنهض بالشعب فتغضب عليها بعض الفئات ؟ ولماذا .. ولماذا ... كل هذا يرد عليه الرئيس جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة الرد المقنع والجواب الذى لا يمكن الا أن يسلم به كل غاصب ومهما ناله من أذى .. ذلك أن « أنا » يجب أن تضحى اليوم فى سبيل « نحن » ان مجموع الشعب المصرى أهم من أى فرد مهما علا شأنه .. لقد محونا الفردية بطرد فاروق الحاكم الاوحد وثبتنا الجماعية باعلان جمهورية مصر الحكم الذى يشارك فيه كل فرد ولا يظل ثابتا الا اذا رضى عنه المجموع .

أما الفصل الاخير فى نظرى فهو أقوى فصول الكتاب تعبيرا عن الشخصية المصرية .. تلك الشخصية المنطلقة التى تقف على أرض الواقع ثم تعلو وتعلو فى السماء مثلها كمثل الاهرامات ثابتة القاعدة ترتكز على مساحة واسعة ثابتة ثم تعلو وتعلو فى السماء الى أعلى مما تصل اليه أية أمة فى تصورها للعلاء .

والافكار كلها والآمال أجمعها تتجمع حول مركز مصر الجغرافى يسميه المؤلف « المكان » مكان مصر وظروفها التى تستمدها من هذا المكان ، ثم طاقاتها غير المستغلة التى يجب أن تنميها وتستغلها بفضل هذا الذى قد أوجدها فى تلك البقعة بالذات من العالم .. ان مصر كما يقول الرئيس بطلة دور مسرحى تائه ظل زمانا طويلا يبحث عن شخصية تقوم به كالادوار

فى قصة براندلوا وهى تبحث عن الشخصيات ٠٠ ان مصر فى شـــمال افريقيا٠٠ وافريقيا قارة غنية الموارد واسعة الرقاع وشعوبها فى جهـاد عنيف ضد المستعمرين ومصر بحكم مركزها الجغرافى وما أتاحه لها هذا المركز من رقى تستطيع أن تكون زعيمة الشعوب الافريقية وأن توجه جهود هذه الجماعات نحو رفاهية الافريقيين فتصبح القارة قارة المستقبل المشرق السالم الحر ٠٠ ومصر وسط بلاد شاسعة تمتد من الصين الى كراتشى تدين كلها بدين واحد وتتكلم كلها لغة واحدة ، كانت كذلك منذ مئات السنين تصل الى عشرات ومئات وستظل بعون الله كذلك ، ولكن بعد أن تسير قدما فى سبيل وحدة شاملة عامة للمسلمين وبفضل رباط قوى حى يربط بينهم فاذا هم قوة أيضا لايحسب لها حسابا فحسب وانما هم قوة يكون لهـــا دورها فى توجيه دفة التاريخ الانسانى نحو الامن والسلم ٠

ومصر وسط شعوب عربية كلها تجاهد فى سبيل التحرر وكلها تحس أن مايصيب الواحدة منها يصيب الجميع ، بل ان الاحداث والتاريخ نفسه يثبتان أن الحادث الواحد فى أى قطر من الأقطار التى لم نسمها عبثا شقيقة ترتج له أركان الاقطار الاخرى جميعا ومصر بحكم مركزها الجغرافى دائما تستطيع وتستطيع ٠٠٠

وهكذا يختتم الرئيس كتابه بهذا الأمل الواسع العريض الذى يرسو على الأرض رسو الأهرام ويعلو فى السماء علوها ويبهر الناس ان شاء الله كما بهرتها أجيالا طويلة لا تعرف لها نهاية ٠

كفاح الشعب (من عمر مكرم إلى جمال عبد الناصر)

للأستاذ محمد أمين حسونة

يقول تولستوى فى كتابه الأشهر « الحرب والسلم » ان التاريخ حياة الامم وحياة الانسانية ولكن وصف هذه الحياة فى كلمات يبدو مستحيلا ولقد حل المؤرخون القدماء هذه المشكلة بان جعلوا الملوك أو القادة ممثلين للشعب بحق الهى أو لسلطة شبه مقدسة ، ولكن المؤرخين المحدثين قد نبذوا هذه الافكار وفى الوقت نفسه راحوا يبحثون عن افراد يمثلون الشعب باى حق آخر قواد او مصلحين أو مؤلفين أو صحفيين فكانوا بذلك منافقين لأنفسهم لقد نبذوا فكرة أن الفرد يمكن أن يمثل الجماعة وفى الوقت نفسه ظلوا يؤرخون للافراد .

ويمضى تولستوى فى تبيان مايجب ان تتطور اليه كتابة التاريخ بأسلوب حديث وكانت لصيحة تولستوى ولصيحة غيره من المؤمنين بالحياة وتطورها أثر فى أن تغيرت أساليب المؤرخين المحدثين فى كثير من الأمم المتقدمة الحية .

وظللنا نحن بحكم ظروفنا السياسية نكتب تاريخنا بهذا الاسلوب القديم الذى نبذته اكثر الامم الحية القوية فاذا تاريخ مصر الذى درسناه فى المدارس لا يوحى الينا أبدا بأننا شعب حى وانما نخرج منه بصورة اجنبية ، صورة حياة سيد الغربة وما اتى من مفاخر وماقام به من جلائل الاعمال والشعب لايكاد يظهر على المسرح الا مصفقا مبتهجا شاكرا النعم حامدا على ماخصه الله وحده بشرف الوجود فى زمان هذا العاهل العظيم .

وكان أكثر المؤرخين المبصريين حماسا لوطنه لايستطيع ان يكتب تاريخ مصر على وجهه الصحيح لا لأنه كان يخشى السلطان فحسب وكانت سطوة السلطان حرية ان تخشى ، ولكن لان المادة العلمية من الناحية الفنية البحتة تعوزه . ذلك أن تاريخ مصر منذ تعرضت للغزو الأجنبى فى السنين

الآخيرتين من القرن الثانى عشر واكثر تصادر تاريخها محفوظة محجوبة عن اعين الباحثين فلقد جمع الملوك كما جمع الملك فؤاد كل هذه الوثائق فى مقره وجعلها وقفا على اجانب يشترى علمهم بالمال الوفير فاذا هم يكتبون كتبا مطولة فاخرة الطبع عن تاريخ مصر الحديث • ويأتى المؤرخ المصرى فلا يجد فى اكثر الاحيان الا هذه الكتب التى كتبت باسلوب يخدع العالم لانها متقنة • والا بعض وثائق هى التى سمح لها ان ترى النور تؤيد أغلب الاحيان ما الفه هذا المؤرخ العارف بالنعم • ومن هنا خرجت كتبنا فى التاريخ •

ولولا قلة من مؤرخينا المعاصرين حاولوا فى صدق وأمانة أن ينفضوا التراب عن تاريخنا الحقيقى كما فعل الاستاذ شفيق غربال مثلا عندما كتب عن سيرة السيد عمر مكرم لكان تاريخنا كله من صنع الاجانب الذين يتملقون ويقبضون ثمن التملق مقدما • حتى تاريخنا القديم كانت السلطات تعبث به احيانا على امعانه فى القدم • وليس المجال مجال ذكر الامثلة على ذلك •

أما كتابنا هذا فهو محاولة قوية فى ظل الثورة لكتابة تاريخ المصريين من جديد • سماه الاستاذ محمد أمين حسونة بحق كفاح الشعب وجعله حلقة أولى من سلسلة أربعة كتب عن الوعى المصرى الوعى القومى والشعبى والثورى والسياسى ؛ لقد كان هدف المؤلف كما يبين فى المقدمة يختلف كل الاختلاف عن هدف المؤرخين من حملة القماقم كما سماهم الذين شوهوا تاريخ مصر فى سبيل ارضاء حكامها • وياليت حكامها كانوا منها وانما هم غرباء دخلاء • وياليتهم لما دخلوا فاتحين غازين لكان لهم ، بحكم قانون القوة ، سلطان شرعى ولكنهم دخلاء وصلوا الى السلطان بالدس والخديعة وانتهاز فرصة الاضطراب والاختلاف وتحريك الثورات من وراء ستار ليقفوا متفرجين حتى اذا تم لهم الامر بطشوا بطشة قوية جبارة سجلها لهم التاريخ وجعل لها رجة ونكسة عانتها مصر قرنا ونصف قرن •

والكاتب حريص منذ البداية على تبان صحة مايؤمن به ايمانا قويا وهو ان الشعب المصرى لم يكن غافلا ولا نائما • ولم يكن عبدا لما إستعبد وانما كان مكافحا كفاح الأحرار مناضلا نضال المجاهدين الأبرار خانته الظروف وعاكسته المقادير ولكنه لم يفتر ولم يهن • وانما ظل ابدا كالآلة الحساسة يرصد كل انحراف سواء استطاع ان يثور له ام لم يستطع يسجل كل عمل طيب أو خبيث بحركة قوية من حركاته سواء نجح فيما قام به أم لم ينجح •

ان الجيش الفرنسى بقيادة قائده الاعظم نابليون هاجم ثغر الاسكندرية فقام الشعب فى وجهه ولم يسمح له بدخول البلاد على قوته وجبروته الا بعد ان دافع عن كل شبر بكل مايملك • ووقف الشعب فى العاصمة يدافع وينشىء مصنعا للذخيرة بدائيا بالفتح ولكنه يفى عندالحاجة الملحة • بتجديد المساجد والبيوت • وخرجت النساء من بيوتهن يواسين ونزعن حليهن لتموين الجيش بالمال وخرج الصبى والشيخ والطفل والفتاة كلهن يدا واحدة وقلبا نابضا حتى أحالوا العاصمة الى ميدان شهد أشرف معركة ، معركة عزل فيها أمام جيش منظم عتيد دافعوا عن عاصمتهم قرابة أربعين يوما حتى جرى فيها الدم فى الشوارع واقام الفرنسيون على الاشلاء •

ولولا تدخل الاجنبى فى المعركة لخرج الفرنسيون واقام المصريون أمور بلادهم من جديد ولكن مصر كانت شعبا فى المزاد كما يعتبر المؤلف فاذا الانجليز والعثمانيون يريدون اخراج الفرنسيين فيستغلون روح الشعب لصالحهم • والمماليك حكام مصر الشرعيون وسط كل هذا قد زعزعت الاحداث قوتهم واذا بهم بدورهم يستغلون فى شراء هذا الشعب من المزاد

ويأتى محمد على والمؤرخ حريص على ان يرسم له صورته الحقيقية التى نزع عنها كل ماقد احاطها من طنطنة وتسبيح ليرينا المغامر القوى الذى اراد ان تكون مصر عزبة له ولاولاده من بعده فاخذ يجرب حظه ويتحين الفرص ويمالىء هذا أو ذاك ويحارب اذا لزم الأمر والهدف الأساسى صالحه

الشخصى لاصالح العثمانيين الذين ولد بارضهم ولاصالح الاجانب الذين حرص على ان يسندوه وان يتملقهم لينال سندهم ولا صالح المصريين فلقد كانوا آخر من يفكر فيهم وانما صالحة هو كصاحب عزبة غنية بالخيرات مملوءة بالامكانيات ٠

ويمضى المؤلف فى كتابه فى سرد تاريخ تلك الحقبة مصورا الشعب ، من خلال الحوادث ، الشعب المصرى الذى لم يكن يفكر فيه واحد من الطامعين أو المشترين فى هذا المزاد كيف كان يلتف حول علماء الدين فلقد كانوا قادته المخلصين يستمد منهم الروح على هذه المحن التى يعانيها فيقـــاوم وكانت المقاومة رائعة حقا رائعة بحيث انها تحتاج لريشة فنان أو مؤرخ عبقــرى ليصورها صـــورتها الحقيقية ٠ مقاومة لم تعرف الفتور أبدا وانما تعرف الحركة والتضحية والبلاء الباسل المتفانى حتى النهـــاية وليســت العبرة كما اسلفنا فى تاريخ الشعوب أن تنجح المقاومة او تفشل وانمـــا العبرة بان الحيوية ظلت قوية حتى بعد الفشل وان النار تحت رماد المعارك ظلت متقدة لم تخب فى يوم من الأيام ٠

وكانت مذبحة المماليك التى وصفها الكاتب فى فصل عنوانه « حمـــام الدم فى القلعة » نقطة فاصلة فى تاريخ مصر فلقد شهدت مصر بل العالم كله مجزرة فريدة وخدعة دنيئة لم يسجل التاريخ مثلها على كثرة ماسجـــل من مآسى ومجازر وخدع ٠ ومع أن هذه الضربة كانت قاصمة للظهر ، فان الشعب المصرى وجم ولم يمت سكن ولم يمرض وانما ذهل وروع ثم افاق وأخذ يستعد للجولة القادمة ٠

ان الشعب المصرى خليق فى ظل نهضته الحـــديثة أن يكتب تاريخـــه اعلام المؤرخين المصريين الذين يحسون بروح هذا الشعب تسرى فى ابدانهم لقد كتب هذا لشعب بدمه صفحات مجيدة فى تاريخـــــه بل فى تاريخ الانسانية كلها خليقـــة بأن ترسم وخليقة بأن يدرسها الشباب بدل هـــذه الصفحات الباردة الجوفاء التى كنا نتعلمها لنحصى بها مآثر واصلاحات

الاسرة التى نظرت الينا على اننا فلاحون وان أرضنا عزبتها • لقد نادى الشعب المصرى أول من نادى فى العصر الحديث بحقوق الانسان • فهذه وثيقة ترجع الى عام ١٧٩٥ كتبها الزعيم عمر مكرم مع وفد من العلماء ورفعها الى الأمراء المماليك لما طغوا يلزمهم فيها برعاية حقوق الناس واحترام حقوق الانسان • ولم يكن طغيان الولاة والحكام ذاك بالشىء اليسير ولكن الزعيم وصحبه لم يرهبوا سلطانا فى سبيل الحق •

ولما ناصر السيد عمر مكرم المغامر التركى محمد على ناصره بدافع وحدة الدين وايده طالما سار فى الناس سيرة حسنة ولكنه بمجرد ان ظهرت نواياه الحقيقية وبمجرد ان انحرف فيما أخذ على نفسه من مواثيق قام الزعيم وصحبه من العلماء ليناهضوه فاشترى منهم من ضعف وظل السيد الشريف ولفيف من العلماء يقاومون الظلم حتى ينجلى • وكما قالوا لسلفه خورشيد باشا « ان للشعوب طبقا لما جرى به العرف قديما ولما تقضى به احكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاة ولهم أن يعزلوهم اذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم لأن الحكام الظالمين خارجون على الشريعة » •

فكذلك قالوا له • ولكن مجزرة القلعة أظهرت للشعب وزعيمه أن الوالى الجديد ليس ضعيفا بحال من الأحوال •

وذهل الشعب المصرى حينا ولكنه سرعان ماافاق فاذا فى الميدان عدد جديد عدد لاينفع معه كفاح مسلح وانمالابد من كفاح سياسى وهذا طور آخر من أطوار التاريخ سيعرزه المؤلف بكتاب آخر •

وأخيرا تلك دعوة خرية بأن تستجاب فقد آن أوانها دعوة كتابة تاريخ الشعب المصرى كما صورته الأحداث بالفعل لاكما فسره حملة القماقم فأخفوا وخذفوا وأضافوا فى سبيل التملق والزلفى •

الامبراطورية البريطانية فى مفترق الطرق

(من سلسلة اخترنا لك)

تربطنا بانجلترا منذ أكثر من قرن صلات قوية فى السياسة والاقتصاد فلقد تدخلت بريطانيا فى سياسة بلادنا منذ فجر القرن الماضى وعملت على أن تتوطد اقدامها فى مصر حتى استطاعت أن تثبت أقدامها تثبيتا علنيا منذ ثلاثة ارباع قرن وظل تاريخنا طوال هذه الحقبة من الزمن مرتبطا أشد الارتباط بمجريات الأمور هناك فى الجزر البريطانية

لذلك كان من اكمال الفهم بل من اساس فهم تاريخنا الحديث أن نعرف عن هذه الامبراطورية الجبارة الأسس العامة التى تلاعبت فى تاريخها والمناحى الكبرى التى سارت فيها سياستها واقتصادها لنعرف تاريخنا الحديث من ناحية ولنعرف ماذا يمكن أن يأتى به الزمان لنا فى مستقبل علاقاتنا بهذه الامبراطورية بل بغيرها من دول أوروبا وأمريكا ٠

وهذا كتاب تخرجه لنا سلسلة اخترنا لك متمشيا مع هدفها الذى رسمته لنفسها منذ ظهورها وهو ايقاظ الوعى القومى والسياسى على أساس من العلم الصحيح بالحقائق ٠

ولقد قدم الرئيس جمال عبد الناصر لهذا الكتاب كما قدم لكل كتاب تقريبا من هذه السلسلة مبينا فى ايجاز الخطوط الاساسية لحاضر الشعوب الشرقية عامة ومصر خاصة ولمستقبلها جميعا ونداؤه الذى يوجهه الى ساسة الغرب هو النداء القوى الذى ردده ورددناه جميعا معه ان عصر الامبراطوريات قد زال ولابد أن يقوم مقامه عصر الصداقات والتحالف على أساس الند للند وعلى أساس تبادل المصالح فى عدل وقوة يقول عن زعماء بريطانيا وغيرها من المسيطرين على سياسة هيئة الأمم المتحدة « انا نود أن يدرك هؤلاء الزعماء ادراكا تاما حق كل شعب فى أن يتحرر من أى قيد أجنبى وأن الدفاع عن الحريات والمبادىء لن يتأتى الا اذا قامت المساواة التامة بين الأمم كبيرها

وصغيرها قويها وضعيفها فهذه هى الطريقة المثلى لاستتباب الأمن واشاعة الاستقرار والاتجاه الى البناء والانشاء والتعمير لرفع مستوى الحياة والتعاون لخير الشعوب ورفاهيتها » .

ويمضى الكتاب بعد هذه المقدمة ليعرض علينا لمحة عن الاستعمار البريطانى منذ فجره فيبين كيف كان الاستعداد الى هذا التوسع خارج مياه الجزر البريطانية تبث بذوره القوية فى شباب الانجليز على ألسنة الشعراء قبل أن تقوم المصانع باخراج السفن واعدادها والاكثار منها ليغزو تجارها الهند وغير الهند من المستعمرات البريطانية والقارىء لهذا العرض يلمح فى سرعة السمة العامة للاستعمار البريطانى التى كنت احرص على أن يثبتها المؤلفون ولكنهم لم يشيروا اليها الا عبورا وهى أن هذا الاستعمار قلما كان يتحقق عن طريق الغزو الحربى المسلح ، ان بريطانيا دخلت هذه البلاد وسياستها العامة « أكثر غنم ممكن بأقل ثمن » والحروب تكلف ثمنا باهظا فلا يمكن أن يضطر اليها الا عند الضرورة القصوى عندما يندد مثلا شعب كشعب مصر ضد الخديوى ومن يحميه ولكن قبل ذلك وبعد ذلك لاحرب ولاسلام وانما توغل بطىء جبار وامتداد للجذور تحت الأرض ثم الزمن يلعب دوره نعم الزمن أكبر ساسة انجلترا على الاطلاق وأكثر من خدموا فى صفوف غزاتها المستعمرين آثارا مجيدة ونتائج باهرة .

وغاية الفصل الأول أن يقارن بين فهم ساسة الانجليز أنفسهم للاستعمار قد عاد بين ما قد آل اليه هذا الفهم حديثا بفضل الاحداث التاريخية التى جدثت وبفضل تقدم هذه الشعوب التى كان أكثرها ذا مجد تليد قديم يجرى فى دماء أبنائها عزة لاتقاوم وان هادنت الى حين لشعب مصر وشعب الهند أصبح المفهوم القديم للاستعمار لايمكن أن يعيش وأخذت لذلك بريطانيا تنحنى للعواصف لتقاومها لأنها لاتريد أن تنكسر واذا عصبة الأمم ثم هيئة الامم المتحدة وكلاهما منظمات أملت الرغبة الملحة فى التخلص من الحرب انشاءها حتى تتجنب الانسانية ويلات حروب تزداد مع الزمن خطورة حتى فاقت كل وصف .

أنه هو شبح الحرب الذى غير العالم وسياسته وهو وحده الذى يتحكم فى سياسة كل من أمريكا وروسيا وبريطانيا وأصبح تاريخ العالم فى الواقع بعد الحرب العالمية الثانية هو استعداد لاحتمالات الحرب من جهة وتحمل جبار فى سبيل تجنب وقوع هذه الحرب من جهة أخرى وبين العاملين وتناقضهما تتأرجح مصائر الشعوب الضعيفة بل مصائر الشعوب القوية أيضا

ويستمر الكتاب فى عرض رقعة الامبراطورية عندما تولت الملكة اليزابيت وكيف تطور مفهوم المملكة المتحدة الى كلمة كومنولث أى اتحاد بل اندماج اقتصادى وبذلك أصبحت بريطانيا لاتستطيع أن تستأثر بخيرات البلاد التى توغلت فيها فتنازلت لتشارك هذه البلاد ثرواتها مشاركة فيها شىء قليل من انصاف أصحاب الخيرات بعد أن كانوا لاينالون شيئا ثم تتطور هذه المعاملة تطورات خطيرة فى الشرق الأوسط وفى ايران ازاء عاملين نشآ معا وهما اكتشاف منابع البترول ثم مجىء أمريكا الى استغلالها وهنا وجد عاملان قويان اضطرا بريطانيا الى التنازل عن كثير مما لم يكن ساستها القدامى يفكرون فى التنازل عنه ٠ ان أمريكا لاتستطيع أن تهدد باساطيل وجيوش لذلك هى مضطرة الى أن تشارك فى استغلاله والبترول فى حد ذاته ليس سلعة من سلع التجارة العادية وانما هو غصب الحرب كما يسمونه فاذا اضفنا الى هذين العاملين تغيير السياسة الدفاعية والهجومية فى أوروبا نفسها المنسا بكل المؤثرات القوية التى أحالت هذه الامبراطورية الجبارة الى مجرد أمة ذات نفوذ قوى عندما أرادت أن تنفس عن أبنائها حبستهم فى الجزر موطنهم الأصلى لأنه لم يعد يكفيهم ٠

والكتاب يبين أيضا فى فصل من فصونه علاقة أمريكا ببريطانيا وماذا يربطهما من مصالح وفيما يختلفان اختلافا جوهريا فى فهمهما للسياسة والامريكيون كما نعرف جميعا يمتازون بالرغم من ثرائهم وذكائهم بأنهم فى ميدان السياسة الى جانب الانجليز لايعرفون معنى الدهاء ولا معنى الزمن ولم

تحنكهم التجارب بعد بما قد حنكت به الانجليز طوال القرون الماضية ولكنهم بالرغم من كل هذا لم يضيعوا الوقت سدى فلقد تعلموا كثيرا جـدا حتى كادوا أن يكونوا انداداً كل مافى الأمر أنهم كشعب أميل الى الصراحة وروحهم عملية لذلك هم يؤيدون مثلا فكرة اجتماع الأقطاب للتداول فى شؤون السياسة كوسيلة من وسائل التفاهم الذى يمنع من الحرب ولكنهم اذا اجتمعوا مرة وعرفوا قلة جدوى هذه الاجتماعات مالوا الى الطريق العملى السريع ولكن انجلترا مازالت تعشق الزمن ولاتريد أن تفـارقه لذلك هى لا تميل الى العمل السريع الا اذا اضطرت اليه اضطرارا وترى فى تكرار هذه الاجتماعات مهما تكن غير مجدية فرصة لأن يلعب الزمن دوره مرة أخـرى لذلك تميل الى تكرارها بل تضغط على أمريكا لتقبل هذا التكرار .

ولما أضعفت الحروب انجلترا وأنهكتها وجاءت اليها أمريكا بغية أن تحتل بعض المطارات وتمدها بالمال والمعونة الفنية لم تحس انجلترا أبدا أنها فى مركز أضعف لقد حرصت على الدولار الامريكى ولكنها عرفت كيف تثبت لأمريكا أن دولارها وحدهلايكفى وأن المصالح المشتركة لابدللدفاع عنهامن أن يكونا ندين متساويين .

وجاءت روسيا الشيوعية فى هذا النصـف قرن لتلعب اخطـر دور فى سياسة البلدين فى الداخل ومع سائر الشعوب التى يتعاملان معها لقـد حاربت روسيا فى صف الحلفاء يوم هزمت لهم ألمانيا ولكن المانيا اليـوم هى الصديقة وهى الدرع الواقية . أن كل حركة من حـركات الروس تجعل المعسكر الغربى وعماده انجلترا وامريـكا يسرع الى الدرس والاسـتعداد للطوارىء وكذلك الحال فى روسيا دون شك .

وأهم ماانجلت عنه الحال الجديدة خروج ألمانيا وفرنسا وايطاليا كمنافسات لبريطانيا على النفوذ فى الشرقين الأقصى والاوسط .

وهكذا يعرض الكتاب للقارىء الهادىء فى أسلوب سهل هذه المعـــلومات الهامة العامة التى لاغنى له عنها وانى وان كنت أعيب على الكتاب بعض الجفاف فى العرض وكثيرا من الاهمـــال فى الاخراج من حيث التصحيح واللغـــة كأن يكتب مثلا عن الفصل العاشر وهو عن الشرق الأقصى عنوان الشرق الاوسط، وهكذا من الأغلاط الكثيرة المنتشرة اهمالا فى الكتاب فانى أرى رغم كل هذا انه كتـــاب كنا أحوج مانكون اليه وهو عنـــد القارىء العادى ثغرة من أهم الثغرات فى ثقـــافته التى سيحفزه سدها الى نوع جديد من الوعى القومى السليم •

الأطماع الاستعمارية فى الشرق الأوسط

للدكتور ابراهيم شريف

رأيت فى أمريكا عند زيارتى لها منذ أكثر من عام ، اهتماما بالغا بدراسة الشرق الأوسط لم يكن عندها من قبل الحرب الأخيرة • فاذا معاهد كثيرة ملحقة بالجامعات أو مستقلة تعمل على درس هذه المنطقة من الأرض لتمد الساسة الأمريكيين بأصح المعلومات وأدقها حتى لاتتخبط أمريكا فى سياستها الخارجية •

وكثيرا مانادينا بايجاد مثل هذه المعاهد فى مصر التى تدرس الشرق الأوسط المعاصر لأن دراسة هذه المنطقة الحيوية من العالم موزعة بين مختلف المعاهد الموجودة بالفعل ولكن العهد الجديد قد أتاح للمصريين أن يتسع أفقهم والأحداث التى سبقته وأهمها خلق وطن لاسرائيل قد جعل مصر تشعر مثلما لم تشعر به من قبل فى العهد الحديث بان لها دورا هاما ينتظرها فى هذه المنطقة من الأرض بفارغ الصبر •

وهذا كتاب فى الموضوع يحدد معالمه ويلقى الأضواء الواضحة القوية على مسائله عنوانه « الاطماع الاستعمارية فى الشرق الأوسط » ومؤلفه شاب من شباب الجامعة هو الدكتور ابراهيم شريف مدرس الجغرافيا بجامعة الاسكندرية وهو يبدأ كتابه بتحديد منطقة الشرق الأوسط جغرافيا ومن هذا يتبين لنا موقع مصر الطبيعى من هذه المنطقة التى تحدها الجبال شمالا وغربا والبحار شرقا وجنوبا • واذا مصر على باب هذا الشرق تشترك معه فى شواطىء البحر الطويلة وتشرف عليه من أرض سيناء وتتصل به اتصالا وثيقا يجعلها الى حد بعيد جزءا منه •

وأهمية هذه المنطقة كما يبين المؤلف كانت فى أنها طريق الى مستعمرات

الغرب الشاسعة وراء البحار وظلت هكذا أكثر من قرن مجرد طريق يريده الانجليز . وكانوا القوة الغربية التى تلعب الدور الأول فى مصير هذه الشعوب دوليا ، جعلوا منه طريقا ممهدا لدرة التاج البريطانى اذ ذاك الهند . وقليلا قليلا اصبحت هذه المناطق فى حد ذاتها هامة . فاذا الخليج الفارسى وماحوله من موانىء واذا ايران وما يتصل فيه بالعراق من حدود كل هذا يصبح هاما فى ذاته لالانه يؤمن الطريق فحسب وقبد يختصره ولكن لأنه منافذ وقت الحرب تهدد سلطان الأنجليز فى الهند وماجاورها . وفجأة تتغير الحال واذا أسواق جديدة للصناعة تفتح فى مجال ضيق فى هذه المناطق ، واستغلال يسير لما تدره أرضها من خير . ولما أراد الفرنسيون أن يتدخلوا فى الميدان كان تدخلهم أول الأمر على استحياء ثم أخذ يقوى ويشتد واذا الالمان والروس وكل قوى أوروبا تقريبا تصطرع على هذا الشرق الأوسط حتى هولندا وكان أسطولها ضخما ومستعمراتها فى المحيط الهادى شاسعة هامة تدخلت هى الأخرى من بعيد فى سياسة هذه البقعة وأن تكن لاتختصر لها الطريق كثيرا الى مستعمراتها النائية .

وبحفر قناة السويس يتغير الوضع فاذا الطريق البحرى وانجلترا دولة بحرية قبل كل شىء يختصر هو أيضا مما يقلل من قيمة اختصار الطريق عبر الأرض . والعجيب أن الفرنسيين هم الذين فكروا فى مشروع هذه القناة وأخذوا يدعون له والعجيب ان الانجليز هم الذين حاربوه وأخذوا يدعون لطريق حديدى من شاطىء البحر الأبيض المتوسط الى بغداد لمجرد محاربة الدعاية لحفر القناة . ولكن الفرنسيين يتغلبون وتحفر القناة واذا الأنجليز يأتون المشروع من مدخل آخر . واذا هم يضحكون على خديوى مصر ويمدون له فى حبال الدين حتى تضطرب ميزانيته اضطرابا خطيرا ويشترون منه اسهمه فى الشركة التى تزيد واحدا فى المائة عن النصف . ضاربين بكل قانون دولى عرض الحائط . فاذا القناة فى مصر ولايكاد يملك منها المصريون شيئا . وكأنما هذا الوضع كان مقبولا لدى

سائر الدول المستعمرة فاقرته • وقليلا قليلا جاء الاحتلال وأصبحت المنطقة حربية أستراتيجية هامة •

وفى خلال ذلك ظهر عامل فعال غير موقف الدول فى هـــذا الشرق الاوسط وهو الحرب العالمية الاولى • دخلتها الدول الأوروبية جميعا فمن انتصر منها أملى شروطه ومن هزم منها انسحب من الميدان •

ولما جلس الرئيس ولسن على مائدة الصلح فى فرساى اذا الأوراق القـــذرة كلها تســـد عليه منافذ التنفس فيمرض : معاهدات ومعاهدات واتفاقات سرية بين هذه الدول المتناصرة وكلها فى سفور واضح تقســـم الغنيمة فيما بينها على حساب شعوب لها كما كان قد قرر ولسن حق تقرير المصير • انجلترا تطلق يد فرنسا فى مراكش فى نظير ان تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر وروسيا تأخذ جزءا من ايران فى نظير أن تترك الجزء الجنوبى لانجلترا • والمانيا التى كانت قد أخذت تتوغل فى هـــذا الشرق توغلا قويا مبنيا على دراسات متينة متبحرة تسحب أذيال الخيبــة فى يأس • لقد مدت لهذه الشعوب يدا عليها قفاز أبيض من السلم والعدل وأخذت تدرس الشرق فاذا هى مقصد الشرقيين أنفسهم بل أنها ظلت كذلك الى زمن طويل حتى لاتضع قدميها الا حيث تعرف هى أين • ولكن هزيمة الحرب غيرت الظروف • وبقى لالمانيا من كل ماقد غامرت به من سياسة ورؤوس أموال معاهد عالمية لدراسة تلك المنطقة

وفجأة ايضا يظهر فى هذا الشرق عامل لم يشهد الشرق من قبـــل مثله أثرا فى مصيره وهـــو عامل اكتشاف البترول فاذا مناطق منه بالذات تقفز الى القمة من الأهمية واذا مناطق أخرى كانت هامة تتأخر الى الوراء كثيرا أو قليـــلا • ذلك أن الحرب العظمى قد جاءت بأثرين هامـين أولهما ماقد أشرنا اليه من تغير مركز الدول وانسحاب المهزوم أمام الغالب من تلك المنطقة ، ثم قيام النظام الشيوعى فى روسيا وماقد غير هذا ومازال يغير كثيرا جدا من أوضاع وثانيهما تنبه الدول المحاربة الى ضرورة ايجاد منابع

أخرى للبترول الذى كان العامل الأول فى دوران هذه الحرب • وبدأ البحث والتنقيب وبدأ بذلك فجر جديد على تلك المنطقة ولعل الله قد أراد بهذه البقعة التى اختارها مهبطا لوحى الأديان الثلاثة خيرا ، وآخر هذا الاكتشاف الى مابعد بدء يقظة هذا الشرق واشتداد الخصومات بين الدول الغربية وتدخل أمريكا فى النزاع بما استوجب الى حد بعيد الاعتراف بحقوق هذه الشعوب فيما فى ارضها من خيرات • فمن يدرى ماذا كان يكون مصير الكويت مثلا لو أن منابع البترول فيها اكتشفت قبل الحرب العظمى الاولى • أكان يكون لها فيها نصيب • لقد حفرت قناتنا قبل هذه الحرب فتحايلوا حتى لم يبق لنا فيها الا نصيب المغلوب على أمره • واضطررنا الى نضال عنيف وجهاد ماكان أغنانا عنه لو أن القناة حفرت بعد ان اضطرت هذه الدول جميعا أن تصدق على حق تقرير المصير ولو على الورق •

وكتاب الدكتور شريف يعرض لكل هذه المسائل فى تفصيل واضح يهتم فيه اكثر مايهتم بالناحية الجغرافية وظروفها الفعالة فى تقرير سياسة هذه الشعوب • فمناعة الجبال وممراتها الجغرافية الممكنة تتحكم الى حد بعيد جدا فيما يتغلب على هذا القطر أو ذاك من احداث • وهو تقسيم الكتاب الى تعريف بالشرق الأوسط ثم تولد المطامع الاستعمارية فيه ثم الخليج الفارسى على إعتبار أنه مدخل الاستعمار الانجليزى ثم الشرق الأوسط خلال القرن التاسع عشر ثم هذا الشرق قبيل الحرب العظمى الأولى ويليه فصل اثناءها وآخر بعدها وأخيرا فصل سابع عن الشرق الأوسط الحديث •

والناظر فى موضوعات الكتاب يرى أن الدكتور الجغرافى قد قسم موضوعه الى حقب تاريخية مع أننا كنا ننتظر تقسيما جغرافيا تكون فيه أحداث التاريخ تبعا • ولكن اتصال هذا الشرق الوثيق من الناحية الجغرافية وحدوده التى بينها فى المقدمة والتى تجعل منه منطقة متميزة من الأرض قد خففت الى حد بعيد هذه الفكرة واذا العوامل الجغرافية تأتى مقدمة للتاريخ وتفسيرا له •

ولكن الذى كنا ننتظره وليس هناك مايبرر اغفاله هو العناية الواضحة بمشكلة البترول • فلم يشر المؤلف مع أن مؤلفه خرج هذه الأيام الى بترول الكويت وبترول المملكة العربية السعودية ولو من بعيد مع أن هذا الاكتشاف قد جعل الأوضاع الجديدة للدول المتنافسة يتغير تغيرا جوهريا مما جعل لامريكا مثلا قدما ثابتة راسخة لم تكن لها من قبل •

وكنا نحب من المؤلف أن يبين لنا مركز مصر من كل هذا وهى على مدخل هذا الشرق قوية ناهضة مؤثرة فيه أيما أثر والأهم من كل هذا مايربط مصر بهذا الشرق من عوامل اللغة والجنس والدين بل اتحاد الأهداف والاعتراف بالمبادىء الدولية السليمة •

انى أرى بسبب هذا الكتاب آفاقا جديدة لمصر تستطيع أن تدور فيها لتفيد ولتستفيد فى عدل وايمان ومساواة وأخاء هذا هو الذى يجعل دراسة هذا الشرق الاوسط من شتى نواحيه ضرورية قد سهل لنا منها الأهم وهو اللغة وقد بوأتنا الطبيعة مركزا ممتازا • أو لسنا الحلقة القوية بينهم وبين أفريقيا كلها وشمالها خاصة فاذا الروابط بينه وبين سكان هذا الجزء أقوى من أن يفصم عراها نوائب الزمان •

تأملات فى السياسة

للأستاذ توفيق الحكيم

تعاني مصر هذه الأيام أزمة في الأدب فلقد احتجبت مجلات أدبية معروفه كانت تشبع نهم القراء وتسد الفراغ الذى كان يتسع ويتسع بفضل انتشار التعليم ، وفي الوقت الذى كنا نحسب أن هذه المجلات قد بدأت تعتمد على قرائها اذا بها تختفي من الميدان واحدة تلو الأخرى حتى أختفت الثقافة والرسالة في شهر واحد .

وأخذت كتب السلاسل الدورية تحاول أن تسد هذا الفراغ وأخذت الصحف اليومية والمجلات ايضا تساهم بنصيب ولكن لاهذه ولا تلك استطاعت الى اليوم أن تملأ هذا الفراغ ومازلنا في انتظار المجلة الأدبية المصرية التى تستطيع أن ترث الثقافة والرسالة والكاتب المصرى والكتاب.

وكثرت كتب السلاسل وتعددت موضوعاتها بل تفاوت مستواها وتباينت أهدافها . ولكن أسماء الآدباء الذين كانوا يملأون هذه المجلات شهريا مازالوا هم الذين تعتمد عليهم هذه السلاسل في كتابتها .

وهذه هي سلسلة روزاليوسف تصدر الينا منذ أيام كتاب تأملات في السياسة للأستاذ توفيق الحكيم .

والكتاب في الواقع جديد قديم في نفس الوقت . فالمقالات التى فيه سبق لها أن نشرت متفرقة في كتب الأديب او في بعض المجلات ولكنها تصدر اليوم في هذا الكتاب وقد جمعها المؤلف من كل هذا الذى قد كتب ليمثل لنا فكرة متكاملة متماسكة لم تتمثل على هذا النحو من قبل وهي فكرة الأديب في السياسة

لقد كتب الحكيم فى السياسة ومايمسها من مشاكل المجتمع والف فى ذلك بعض الكتب الخفيفة الطريفة ٠ ولكن هذا الكتاب الجديد يحاول أن يرسم لنا فكرة الحكيم متكاملة متماسكة ككل ٠ ومن هنا جاءت لهـــذه المجموعة الجدة وأستحلت لنفسها أن تكون كتابا جديدا يقرأه القراء مرة أخرى ليخرجوا بفكرة جديدة ٠

والحكيم كاتب حر يعرف للأدب قدسيته ويرى أن رسالة الأديب رسالة تشابه النبوة وهى لذلك تبعد عن معترك الحياة المادية وتتصل كل الأتصال بالحياة الروحية ٠ كذلك كثيرا ماتحدث الناس عنه والابراج العاجية بل لقد كتب الحكيم نفسه كتابا سماه « من البرج العاجى » ٠ والواقع أن الأديب لايعيش فى برج عاجى ولكنه مختلط بالناس ايما أختلاط ٠ كل مافى الأمر أنه أديب موهوب يرى الصور والمخلوقات فلا يشغل بواقعهـم عما يمثلون من الحقائق الكبرى ٠ أنظر مثلا آخر كتابه هذا عندما يصف زفة الدعاية لأحد المرشحين لمجلس النواب فالزفة واقـع ملموس وهـو يصوره بلمحات سريعة قوية واضحة الألوان مكتملة الأصوات وكأنك معه بالفعل على أفريز تلك القهوة ترى بالعين وتسمع بالأذن ماكان يمكن لكل آدمى أن يرى وأن يسمع ٠ ولكن وراء هذه الصور المادية معان ولهـــذه الألوان والأصوات دلالات ومهمة الأديب أن يرى هذه المعانى وتلك الدلالات كذلك يجرد الأديب نفسه من الواقع لمحة ليرى ويدرك ثم يصور فاذا هذا كله يدل دلالة واضحة على ماقد لمح الآديب بمرهف حسه من وراء كل مايرى ، لذلك هو يختار هذه الصورة لا تلك ويأخذ هذا الجزء أو اللون أو الصوت من الصورة ليرسمه ويغفل ماسواه ٠

فاذا قرأت وصف هذه الزفة تبين لك باكثر مما يمكن أن يدل عليــه الواقع المجرد واذا زيف الاحزاب والانتخاب وكل ماكان يعتور الديمقراطية المصرية من نقص فى التطبيق يتجأ بأقوى صوره ٠

والأديب مؤمن ايمانا مقدسا بعظمة الشرق وعظمة مصر خاصة ٠ ففى

الفصل السادس من الكتاب وعنوانه تحرك الشرق الغامض ينقل الينـــا كلام كاتب أمريكى هو « لورب ستودارد » فى كتابه « عالم الاســـلام الجديد » حيث يقول : أخيرا تحرك الشرق الجامد · تحرك من صميم اغواره وأنه ليتأهب اليوم لوثبة عجيبة · أن قوى فى صدره لتتأجج وأن أفكارا فى عقله لتختمر · كل هذا فجاة وبصورة عميقة ماسبق للعالم أن عهدها فيه هذا الشرق الذى لبث فى نوم عقلى وروحى نحوا من الف عام ، ينفض الآن عنه الكرى وينهض على قدميه ليســير من جديد · يسير الى أين لسنا ندرى · وأنه لمن الجرأة أن نتنبأ بما سوف يتمخض عن هذا التأجج العظيم فى السياسة والاقتصاد والاجتماع والدين وغيرها من دعائم الحضـــــارة الانسانية ولكنا نأمل أن يصاحب هذه الجهود والآلام مولد شرق وقد بعث ليحتل مكانه فى عالم جديد · »

والأديب يتأمل هذا الكلام وقد قيل عقب الحرب العالمية الأولى وقد خاضت الانسانية حربا أخرى أشد فتكا وتدميرا وهى تتأهب لســــلم طويل أو حرب فانية فمن يدرى · والكاتب يقول هذا هو الباحث الأمريكى يصف وماعلى أمتهالا أن تتنبه لهذهالصحوة وأن تسدد خطاها وخططها بمايتفق وهذا البعث ·

ليست مصر وحدها هى التى قد بعثت وانما الشرق كله قد بعث وبينه وبين جيرانه روابط متينة قوية من السهل أن تشد من جديد وأن تتناسق وتتصل وتسير ·

والحـكيم لا يرى أبـــدا الا مستقبل الانسانية جميعـا وهــو لا يريـد أن يتعصـــب لـــكتلة شرقيـــة أو أخـــرى غربيـة ، بل أنـه لايريد أن يتعصب لشىء الا للانسانية والحرية كل القيم فيما عدا هـــذا ثانوية · وانما قيمة الانسان الحر الذى يحب أن يعيش فى عالم دعائمـه عدل واطمئنان وسعادة وهو كل مايشغل بال الأديب · وهل حكم الأدباء منذ أقدم العصور بغير هذا وهـــل بشرت الأديان السماوية جميـعا أو استهدفت الاهذا ·

والجزء الخاص بالأديب يحاور حماره من أشهر مايذكر القراء للأديب من فصول ولكن من الطريف أن نعود نتامل هذه الفصول بعد التغيير الشامل فى حياة مصر أثر الثورة المباركة • من الطريف أن نقرأ الحوار عن حزب الحمار وممن يتكون وكيف يتكون أو الحمار والنفاق والحمار والقومية • حتى الحمار وحزب النساء وأن لم يتغير فى مسألة الأحزاب النسائية مازال طريفا لانه يصور حقيقة كبرى ليس للزمن ان يغير منها شيئا •

والحكيم يبدو هادئا فى أول فصوله مشغولا دائما بما يضحك ويسرى النفس ، ولكن ما تكاد تقرأ فى الفصل بضعة أسطر حتى تحس هذه النفس القلقة الجياشة بالعواطف العاصفة بكل أنواع القلق على مصير الانسان والحرية والوطن • وهذا القلق يملى عليه نوعا من الثورة الذهنية فلا يرى علاجا لها الا فى الحركة هذا الفصل الذى عنونه « عيشوا فى خطر » يريد أن يصف حال مصر عام ١٩٤٠ مستوحيا كلام الفيلسوف « نيتشه » الذى يرى أن الخطر هو الذى يبنى الأمم كما تبنى الرجال المصائب • يقول : « آننا اليوم أمام عدو لنا وحدنا لانساق اليه سوما ولا نساومه على مخاصمته بالوعود • نرى أنفسنا منفردين بعداوته وأقوى دول العالم تؤيده ومع ذلك فقد نهضنا لسحقه بقلوب تزأر فى جوانبها البطولة كأنها الرياح الهوج غير معتمدين على احد ولامنتظرين مكافأة • من أحد • تلك هى مصر دائما صريحة صابرة صلبة صادقة • »

وفى الوقت الذى نرى قلقه ينتظر فى فصول كثيرة على مصير الانسان الحر وعلى مصير حرية الفكر وعلى جحافل الظلام ظلام التأخر تكسح طلائع النور أن لم تتضافر الانسانية على حربها • نراه يؤمن بمصر وطنه ويرى فيه عظمة روحية وكأنها عظمة الشرق كله وقد تبلورت وتركزت فيه •

وفى الفصلين عن الاقصر وأسوان نراه يستمد من تاريخ مصر القديم العجيب ومن حاضرها الزاهر القوى بالروح وأن لم يتقو بعد بالعتاد

والمادة غذاء روحيا عجيبا يقوى الايمان بمستقبل زاهر • وأنه ليثور أحيانا على أهل الوطن والزمان ولكنها ثورة الشفيق الذى يستعجل الفجر الجديد •

يقول عن الاقصر حيث اجتمعت معجزتا السماء الصافية والربيع الدائم صيف شتاء ومعجزة الفن فى ذلك الابداء الخالد يقول « مامن مكان فى الدنيا تلاقت فيه هنا اجتمعت المعجزتان وتعانقت الاعجوبتان ولكن تبين لى على الرغم من ذلك أن هنالك ماهو اعجب من هذا وأشد اعجازا • ذلك هو وجود أمة لاتستطيع الانتفاع بهاتين المعجزتين • »

وهكذا سخرية الحكيم سخرية مشفق متعجل للخير مؤمن بمن يسخر منهم ولكنه يسخر منهم استفزازا لهمم وألما كما كان يجب أن يكون ولكنه لم يكن بعد •

وأخيرا هذا عرض سريع لكتاب فيه من الناقلات والأفكار والآراء مايحتاج الى ساعات لعرضه ومناقشته لأنه غنى بها غناء غير معهود فى تأليفنا العربى بل فى تأليف الحكيم نفسه •

أرني الله

للأستاذ توفيق الحكيم

« أرنى الله » عنــوان الفصــل الأول من فصــول آخر كتاب أخرجه الأستاذ توفيق الحكيم ، ولكن العنوان ينطبق الى حـد بعيـد على سائر الفصول وان اتخـذ الكاتب لهـا عنـاوين أخرى • ففى كل فصـل من الثمانية عشر نجـد المؤلف يعـرض الى مسألة من مسائل الفكر يحاول من خلالها أن يفهم معنى الحياة ومايدور حول التفكير فيها من موضوعات ، ولم تكن جملة « أرنى الله » الا طلب طفل من أبيه أن يعرف حقيقة الله ولكن الأب يصمم على تلك المعرفة ويذهب الى ناسك يسأله ماذا يعمـل حتى يستطيع أن يرى الله ، والناسك يقول له : « أيها الرجـــل ان الله لا يرى بأدواتنا البصرية ولا يدرك بحواسنا الجسدية « وهل تسبر عمـق البحر بالاصبع التى تسبر بها عمق الكأس » •

وأخيرا يرضى الرجل بأن يطلب الناسك الى ربه أن يرزقه نصف ذرة من محبته • وما تكاد تصـل نصف الـذرة هذه الى قلب الباحث عن الله حتى تكفى لتحطيم تركيبه الآدمى واتلاف جهازه العقلى واذا هد والجبل الذى انعزل فوق قمته يتعبد قطعة واحدة لا يحس ولا يتحرك •

والأستاذ توفيق الحكيم يسير فى سائر الفصول على هذا النمط يحاول بحواره المعروف الذى أتقنه وأفكاره الطريفة التى عرضـها فيما قبل فى أكثر من كتاب أن يعرض علينا مسائل الخير والشر ، والحيـاة والموت ، والعبقرية والجنـون ، كلها من خـلال قصص سهل يسير ، كثيرا مايدخله عنصر الفكاهة أو السخرية على الأصح • فاذا هو مشرق وضاء ينفذ الى القلب فى يسر وسهولة •

هذا فصله عن « الشهيد » مثلا ، وما الشهيد الا ابليس • وقد أراد أن يتوب ويصبح فى عداد المؤمنين الخيرين ، ولكن توبة ابليس تعترضها صعاب من شأنها أن تخلخل نظام الكون المبنى على الخير والشر معا •• فترفض توبته •

ان الشر دعامة من الدعائم التى قام عليها كل دين • ألم تقم هذه الأديان جميعا لمقاومة الشر على الأرض ، واذا ابليس ينزل من السماء قد لفظه عالم الخير ورفضت توبته •

يقول المؤلف : « ترك السماء مذعنا وهبط الأرض مستسلما ، ولكن زفرة مكتومة انطلقت من صدره وهو يخترق الفضاء • رددت صداها النجوم والأجرام فى عين الوقت كأنها اجتمعت كلها معه لتلفظ تلك الصراخة الدامية » •

وفى هذه القول تظهر لنا خصائص أسلوب الأستاذ الحكيم واضحة، فهو متأثر تأثرا شديدا بالأساليب الأجنبية ، كأن يردد بعض القول ، يريد أن يصف هذه الجملة المكررة • لفظها أو قالها أو نطقها • مما يدل على أن الأستاذ الحكيم يكاد يترجم ، وهو فى الواقع لا يترجم ولكنه مشغول بفكرته وصوره وآرائه عن الأسلوب الذى لو ظفر بعنايته لخرجت مثل هذه الأقوال كلها فى غاية الروعة ومنتهى القوة فى التأثير ولكن المؤلف فى المواقف الساخرة يكاد لا يبارى •

ففى الفصل الذى عنوانه « موزع البريد» يصف الحظ فى صورة عامل فى مصلحة البريد مهمته توزيع كمية غير معقولة من الخطابات على قوم مبعثرين يلهون على شاطىء البحر ، والموزع المسكين حائر ماذا يعمل وهو لابد أن يعود خاوى الوفاض ليحمل ذخيرة أخرى غير معقولة من البريد ليوزعها فى اليوم التالى • واذا هو يجمع من محفظته كيفما اتفق ليوزع على الناس أيضا كيفما اتفق واذا الحظ يصيب عجوزا شمطاء ويترك حسانا فاتنات ، واذا هو يعطى بوفرة عجيبة ويحرم حرمانا أعجب •

ويشغل المؤلف بمناقشة الحظ الحساب ، لماذا يفعل مايفعل ؟ وموزع الحظ يبدى عذره الواضح انه لا يمكن أن يعمل مالا طاقة له به ، كيف يوزع بالعدل والقسطاس ويوصل الى كل حظه ، وهو مرهق هذا الارهاق بالعمل • وتفوت الفرصة على ذى العقل المفكر لأنه أراد أن يتفلسف مع الحظ ونسى أن يمد يده الى حافظته ليأخذ منها نصيبه ، كما يهمل صاحب الأفكار السعى وراء المال فى الحياة فى سبيل أن يصل الى الفكرة التى يريد أن يحققها •

وفى سبيل رسم الخير والشر يعقد لنا فصلا بعنوان « وكانت الدنيا » فاذا هو تحريف فنى جديد لقصة زلة الانسان الأولى وخروجه من الجنة • وأما فكرة الموت وما قد كمن فى كيان المرأة خاصة من مقاومته فاننا نراه يعرضها عرضا روائيا فى فصله « أنا الموت » • وفى موقف هذا الشاب الذى يريد أن ينتحر فاذا التى تنقذه شابة حسناء لا يريد الشاب أن ينظر اليها وانما يفر منها لينتحر مرة أخرى ، وهى تلازمه وتحاول أن تثنيه عن عزمه حتى يضجر منها ويتوسل اليها أن تتركه ينتحر مرة أخرى ، وأخيرا تتركه لتنقذه رغم ما قد وعدت به من أن تتركه يموت ، فاذا ما أفاق سألها من أنت قالت له أنا الموت •

فى هذا الموقف تصوير من حسن الحظ أن المؤلف لم يصرح به فى لغط كما يفعل أحيانا وانما تركه ليوحى الينا فى غموض قوى جميل لدور المرأة فى الحياة وحرصها الذى هو جزء من كيانها على الحياة ومقاومتها التى هى أعنف من مقاومة الرجل بحكم غرائزها لكل مايمكن أن يفضى الى الموت فضلا عن الموت نفسه •

ومن أروع فصول الكتاب التى تمتاز بالسخرية المضحكة البارعة فصل يصف فيه موقفه بل موقف رأسه فى الواقع بين يدى حلاق فى يده سلاح يلمع وهو يقص عليه قصة أخ له مجنون قطع رأس الزبون مرة كما يشق البطيخة ، فلما ذعر وسأله وهل الجنون فى أخيك وحده ،

فطمأنه الأسطى بأن الجنون فى الأسرة • فما أيقن المؤلف بالموت حتى أحس أنه ولد من جديد لما انتهى من التزيين •

ذلك أنه كما يقول فى أول الفصل « أرواحنا معلقة بكل شيء وبأضال شيء أنها معلقة بأرجل الذباب وبابر البعوض ويد سائق السيارة والقطار والطيارة • بل انها قد تهتز وتتأرجح بين أصابع حلاق يتناولك بالتزيين والتجميـــل •

وهذاالموقف الأخير لما فيه من سخرية تأتى من مقارنة موقف التزيين بموقف الموت هى التى استغلها المؤلف بحسن اختياره لتصوير فكرته •

وفى فصـــلى « سنة مليون » و « فى نخب العصابة » نرى ســخرية أخرى مما يقود اليه العلم من دمار الانسان أو دمــار خيــر ما فيه وهو المعنويات والفضائل •

فى سنة مليون يرى الانسان وقد أصبح كما رآه هكســلى من قبــل جـــزءا من آلة الكون الكبرى ذرة من ذراته لا تعرف الا الاستمرار والخلود ولكنها لا تعرف الموت أبدا •

وفى « نخب العصابة » نرى علماء الــذرة وقد اختطفهم آل كابونى ليقيموا لهم حفلا فى فلوريدا ، يسلمونهم فيه مقاليد القتــل والافســـاد على هذه الارض لأنهم يعترفون لهم بالزعامة •

أما فصلاه عن « ميلاد فكرة » وعن « وجه الحقيقة » فهو يعالج فيهمــا ناحية من عمل المؤلف هو أعرف الناس بها ولعله أصدقهم فى تصويرها• ففى الفصل الأول فكرة تلح ، تريد أن تخرج ولكن المؤلف يتهيأ لاخراجها فتفتر الفكرة لهذا التهيؤ وما يكاد يفرغ المؤلف من اعداد الطعام والورقة والقلم ليخرج الفكرة الى الوجود حتى تكون هى قدماتت من طول ماانتظرت •

وفى الفصل الثانى نراه كسائر المفكرين والشعراء وان كتبوا نثرا يحول الفسيخ الى شربات كما يقول • ويرى فى فتاة عابثة تجاوره فى الفندق صورا للجمال الخلقى والعظمة المعنوية يصورها ويدور من حولها ويطلق لها البخور ويكاد يسجد لها • ولكن ناشره الذى يتولى مهمة فاقته كثيرا لأنه يريد مادة لينشرها يتولى هذه المرة مهمة كشف الستار عن هذا الخيال الذى خلق لنفسه من فتاة عابثة عادية ادعت ما ادعت ليتقبلها الناس فى الحياة بما تحب أن يقابلوها به •

ولست أقف هنا لأناقش المؤلف فى صوره النسائية عامة وما يظللها من ظلم وتشاؤم ولكنى أسأل المؤلف نفسه أن يقارن بين فصوله التى أوحتها تلك النظرة كفصله عن مؤتمر الحب والحبيب المجهول وأسعد زوجين ، وبين فصله الذى يصور فيه امرأة تائبة طاهرة وقد عنونه « امرأة غلبت الشيطان » لأسأله ألم يكسب الفصل الأخير من التحريف فى الفكرة السائدة فى كتاباته عن المرأة رونقا جديدا جعله خير هذه الفصول جميعا ، لا لسبب الا لأن المؤلف أراد أن يقول شيئا جديدا أو أن يصور صورة جديدة من صورة المرأة •

ان صورة المرأة فى « أنا الموت » و فى « اعترف القاتل » وفى هذا الفصل الذى أشرنا إليه صورة جديدة لا أقول هى الصورة التى تتملق المرأة أو حتى تصور أصدق حقائقها ولكنها تخرج عما ألف من صورها صور العبث والتفاهة والاستهتار التى لا أتعرض لها من ناحية الحياة الواقعية وانما أتعرض لها من الناحية الفنية المحصنة فأقول ان المؤلف قد استنفد ما فيها من الايحاء والصور فيما يظهر فيما قد ألف من قبل فليس ثمة ما يوجب تكرارها لان تكرار الصور الفنية لا يضعفها فحسب وانما قد يصل أثره الى الصور الأصلية فيقلل من قيمتها الأولى •

الأمّة العربيّة

للدكتور عبد الحميد البطريق

ان الأحداث الدولية تتكاشف جميعها على شعار العرب بأنهم قوة يخشى بأسها طالما اتحدوا وكذلك تتعاون الاحداث فى الشرق الاوسط وفى المغرب على ابراز هذا المعنى فى نفوس شعوب الأمم العربية جميعا • ففلسطين ومشكلتها فى الشرق الأوسط والاستعمار الفرنسى وفظائعه فى المغرب كلاهما يدعو الأمم العربية الى يقظة قوية ايجابية والى اتحاد متين يجب أن تعمل الشعوب جميعا على تقويته •

ذلك أن الاستعمار الاروبى وهو سبب مايلقاه الشرق من ويلات منذ أكثر من قرن ونصف قد أخذ يتلون ويتشكل فى صراعه المستميت عندما أحس بدنو الخطر الشديد على بقائه • فلم يكن عبثا أن انشأ الانجليز والأمريكيون لليهود وطنا فى فلسطين وانما اسرائيل طفل صغير فى عالم الاستعمار يحمل معانى عظيمة وينذر بشر مريع • أنها آخر حيلة فى الدفاع حيلة متقنة مقنعة بل أعجوبة من اعاجيب الدفاع عن الاستعمار • أما فى المغرب فلم يكلف الفرنسيون أنفسهم مؤونة اختراع أو تزييف وانما أخذوا فى وضح النهار وبكل احتقار لشعوب المغرب ومطالبهم يحاربون بالسلاح ويقيمون المجازر البشرية المروعة على مسمع من هيئة الأمم ومرأى دون خجل بل دون سياسة كما يسمى المكر واللؤم فى عالم الاستعمار •

ولما كانت سلسلة كتب « اخترنا لك » قد أخذت على نفسها عهدا بايقاظ الوعى فى مصر والشرق العربى خاصة فقد أصدرت هذا الشهر كتابها بعنوان الأمة العربية للدكتور عبد الحميد البطريق تهدف من وراء هذا أن تجمع أشتات القضايا الاقليمية فى العالم العربى وأن تضعها فى اطار

واضح كل واحدة منها الى جانب الأخرى فى الصورة العامة للأمة العربية فاذا هى تبرز للقارىء واضحة المعالم مفهومة المغزى ·

وأخذ المؤلف منذ أول سطر فى الكتاب يعنى بالأحداث الهامة التى تعاقبت على الشرق والغرب لا ليصورها وانما ليدلنا على بواعثها ومغزاها · لذلك كان لابد له من أن يبين لنا ميدان هذه الاحداث ورقعتها الطبيعية التى كانت مسرحا لها فأجمل فى أربع صفحات ونصف صفحة مفهوم الأمة العربية وكيف تكون هذا المفهوم منذ فجر تكوينه الى اليوم معنيا بالخطوط العريضة التى تبين العناصر الاساسية والاحداث التاريخية الكبرى التى تعاونت على خلق مفهوم الأمة العربية ثم يقفز بنا عبر التاريخ الى هذا العصر الذى نعيش فيه فيبدأ بالكلام عن الفتح العثمانى · ويمهد لهذا بالكلام عن العالم العربى قبل الفتح العثمانى ليبين لنا فى خطوط عريضة ابدا واضحة كل الوضوح السلطات التى كانت تتنازعه وكيف أنه كان مقسما الى ثلاث كتل فى الواقع يحكم كل كتلة منها سلطان مختلف · دولة اسماعيل الصغيرة فى العراق ودولة المماليك المصرية ثم الدولة التركية الفتية الزاحفة على هؤلاء جميعا ·

وأما المغرب الأقصى والأدنى فلقد أفرد له المؤلف جزءا خاصا من الكلام لاختلاف ظروفه عامة واختلاف علاقته بالدولة العثمانية بوجه خاص ·

وينتقل المؤلف بعد هذا الى الكلام عن العرب تحت الحكم العثمانى لايريد بذلك أن يسرد لنا الاحداث أو أن يحصيها وانما يريد أن يبرز لنا كل قطر من اقطار هذه الأمة العربية على حدة فى اطار ظروفه الخاصة تحت هذا الحكم ليبين لنا ان الرقعة الجغرافية قد تختلف وان مسرح الاحداث قد يتلون ولكن الحال آخر الأمر هى حال أمة عربية تهادن وتسالم وتجمعها روابط الدين واللغة رباطا قويا مما سهل الأمر فى مبدئه للحكم العثمانى أن يستقر فلقد كان حكما اسلاميا عربيا فعاش حتى تنكر الغرب للعثمانيين وحتى ضعف أمر العثمانيين فى الشرق فأخذوا يتنكرون للمسلمين مثلهم ويسومونهم مر العذاب وأخذت الاقليات تجد المسلمة تعانى من الاتراك فى الشرق الاوسط كله

فظائع معروفة وكان الغرب فى الوقت نفسه قد ادرك قيمة هذا الشرق فيما يريد أن يبسط عليه سلطانه من بقاع وفيما كان يريد أن يفتح لصناعة آلاته من اسواق فأخذ الغرب يعبر الشرق تاجرا ثم دارسا ثم طامعا ثم متعمقا فى الدرس لتنظيم وسائل تحقيق اطماعه فلم يكن له بد من التدخل فى السياسة العثمانية العربية بالدهاء حينا وبالسيف حينا آخر

وأخذ الصراع بين انجلترا وفرنسا الذى خصه المؤلف بفصل تتبين معالمه وتقوى أسبابه فانجلترا قد فتحت الهند فوقعت بهذا الفتح على غنم عظيم حسدتها عليه فرنسا وكان الشرق الاوسط طريقا للهند فأخذت فرنسا تعمل فيه سياستها وسيفها المشهر فىسبيل الطمع دائما وبدلا من أن تتحارب فرنسا وانجلترا هناك على أرضها على هذه السعادة أتخذا من آلشرق الاوسط ميدانا للحرب المسلحة احيانا وللحروب الباردة وأثارة الثورات احيانا أخرى وكان اخطر مالجأ اليه الفريقان وانجلترا بنوع خاص هو أثارة فريق من هذه الأمة العربية على الفريق الآخر بل اثارة الفتن فى كل قطر على حدة بين موال للسلطان وطامع فيه وماكان أكثر الطامعين وما كان أضعف السلطان كله فى يد من كان فى هذا الزمان .

ومزق الشرق أوصال كيانه فى حروب وفتن وشك وخوف واذا بالامبراطورية العثمانية تتفكك وتتخلل ويصبح السلطان عبد الحميد فى نظر الغرب الرجل المريض لا أكثر ولا أقل تنبها منهم الى أن نهاية العثمانيين قد دنت .

وأخذ السلطان يدافع عن كيانه ما استطاع وأخذ بعض المسلمين ازاء الخطر الغربى يتكتل ويدعو الى وحدة اسلامية كبرى ودعا جمال الدين الافغانى الى هذه الوحدة وانشأ السلطان مدارس لتخريج الدعاة الى هذه الفكرة استغلالا منه لقوتها الفتية فى حماية الخلافة الاسلامية ولكن الأوان كان قد فات وأصبح لايمكن لقوة مهما تكن ان تنقذ هذه الامبراطورية المفككة من المصير المحتوم .

وبرزت أمام العالم العربى اذ ذاك حقيقتان لكل منهما فوتها ولكل منهما وجاهتها حقيقة الرابطة الاسلامية التى تربط بين هذه الشعوب وحقيقة الوطنية الاقليمية التى كانت قد بدأت بذورها تثمر فى النفوس • وتنازع سكان الدولة العربية عاملان عامل الرغبة فى اتحاد اسلامى عام بحيث يصبح العالم الاسلامى وحدة متكتلة لدرء الخطر وعامل حب الوطن الصغير القريب الذى ضاعت مصالحه بل معالمه أحيانا وسط هذه الفوضى وتعاونت الاحداث على تقوية العامل الثانى فلقد تدخل الاستعمار فى الشرق بحيث أصبح لكل قطر مشاكل تختلف ولعب الاستعمار فى كل قطر حيلا مختلفة تلائم طبيعة الاحداث المحلية والظروف المنافية ، فأخذ الوعى القومى المحلى يقوى وخاصة بعدما جاءت المدنية الغربية وفى طياتها البذور القوية لحب الوطن الصغير بل التعصب له تعصبا قويا •

وافاقت مصر بالذات على هذه الحقيقة وليس أدل على تزاحم الاحداث على ابرازها من وجود الزعيم مصطفى كامل وقد عرف بتفانيه فى حب مصر يدعو فى أول الأمر الى الوحدة الاسلامية أملا منه (بل أنه لأمل كان مازال يداعب النفوس) فى أن مصر الحبيبة ستكسب من هذا الانضمام ومن تلك الوحدة والى جواره وجد لطفى السيد الذى استطاع لوطنيته العاقلة ان يلمح فى الأفق قيام هذه الوحدة فى زمان ابعد كثيرا بعد أن تقوى المفردات المكونة لها • فرأى أن صالح مصر فى أن تبعد عن انجلترا وفرنسا وعن الوحدة والاسلامية أيضا ولا تلتفت الا الى نفسها حتى يقوى كيانها فاذا ما قويت أمكن الانضمام الى وحدات أكبر تكون عناصرها كلها قوية ويشاء الله أن يمتد العمر بالوطنى العظيم فيرى مصر قوية تدعو الى الوحدات الكبيرة القوية وحدة تعدت العرب وتعدت الاسلام الى وحدات أو منظمات افريقية وأسيوية

ولكن هذا كله لم يأت دفعة واحدة وانما جاء فى تسلسل الاحداث بطيئا وئيدا وهذا مايوضحه لنا كتاب الدكتور البطريق • فلقد فشلت الدعوة للوحدة الاسلامية للسبب البسيط وهو أن الوحدات التى كانت ستكون هذه

الوحدة كانت كلها ضعيفة مبعثرة تعمل فى كل منها عوامل الخلاف والتمزيق والفناء .

وسرعان ما افاق الشرق العربى والمغرب أيضا على خطر الاستعمار فتلهى كل قطر عن أخيه بما أصابه من بلاء وأخذ كل قطر يقاوم هذا الخطر الجديد حسبما أتخذ الغرب فيه من اسلحة فكانت ثورة مصر وثورة العراق ومقاومة سوريا مع القطرين ، ولكن الانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان والانتداب البريطانى أو الاستعمار فى الواقع فى العراق ومصر وامتداد النفوذ لفرنسا حينما وانجلترا فى أغلب الأحيان على سائر الشرق الأوسط جعل المقاومة تصاب بكثير جدا من الفتور وشبه اليأس وأن الفرنسيون والانجليز من أهل البلاد أنفسهم طامعين للحكم يسلطونهم على البلاد لتنفيذ أغراضهم الاستعمارية دون ان يدفعوا ثمنا لما يأخذون .

ويمضى الكتاب مبينا آثار احداث السياسة الدولية على الموقف فى الأمة العربية حتى على الموقف فى المغرب بعد أن خضع للاستعمار الفرنسى الباطش واستعمار ايطاليا لليبيا وبعد الحرب الاولى تتخذ المقاومة من تصريحات ولسن شيئا من قوة فتعود بعد فتور الى يقظة قوية وأخذ الغرب فيما عدا فرنسا فى المغرب يؤمن بأن سياسة العنف لاتجدى فيطرحها ويستعمل سياسة الدس لاثارة أبناء الوطن الواحد بعضهم على بعض ، فاذا الفساد يتفشى واذا الشعوب تائهة حائرة لا تدرى ماذا تفعل واذا آمالها تتواضع وآفاقها تضيق حتى كانت الحرب العظمى الثانية فاذا لظاها ينير بناره على شعوب قد أخذت تفيق وهى مازالت مكلومة يائسة وشعوب عربية تغط فى النوم . ولكن مصر والعراق وسوريا والحجاز واليمن والمغرب الاقصى ترى فى أحداث الحرب العالمية الثانية فرصة لصحوة قوية من جديد .

« يسير بنا المؤلف مع كل قطر على حدة حتى يومنا هذا مبينا قوة هذه الصحوة بلا أسباب قوتها والأمل القوى فى استمرار هذه القوة بل مبينا أحيانا أسباب الضعف التى يجب أن نتغلب عليها وكان لحسن حظه أنه

مصرى فكان لذلك مغتبطا بأن يكتب عن ثورة مصر الحديثة آيات الفخار ، انها ثورة قد دلت كل الاحداث التى عنى بسردها علـــى أنها مدركة لخطـــوات التاريخ الحديث على الأمة العربية ايما ادراك • آنها ثورة قد نبعت من قطر أصابه الاستعمار بآخر ما عنده واحدث من سبل العيش والخداع والوقعية ولكنها صقلت أيضا بتفكير قادة خاضوا غمار الحرب فىفلسطين فأدركوا فى ميادين القتال معنى الأمة العربية ومعنى الاستعمار ادركا لايمكن لكتاب أن ان تتيحه لاحد .لذلك كانت ثورة مصرية ولكنها تدعو الى الوحدة والتـــآخى لا بين العرب فحسب ولكن بين شعوب العالم بين شعوب آسيا وأفريقيـــــا والعالم كله اذا آراد •

الاتجاهات الوطنية في أدبنا المعاصر

للدكتور محمد حسين

مرت مصر فى القرن الاخير بحقبة من حياتها مملوءة بالاحداث العنيفة . فلقد صحت فيها من سبات عميق واخذت تشق طريقها نحو نهضة قوية واضحة المعالم بخطى واسعة وان صادفتها العثرات احيانا .

ولقد كتب تاريخ هذه الفترة الى الان ، فيما عدا قلة قليلة تناولت مسائل محدودة ، بروح تسيطر عليه تيارات مغرضة غير علمية وبأفق قد ضيقه اقتصار ثقافة المؤلفين واختصار فى ظل احوال مملوءة بالضباب الكثيف .

لذلك وجب على المصريين فى هذه الايام ان يعيدوا كتابة هذا التاريخ فى ظل العهد الجديد الذى اتاح لنا ان ننظر الى التاريخ على أنه احداث الشعب واحواله قبل ان يكون احداث الملوك أو الغاصبين .

منذ فجر القرن العشرين اخذت مصر باسباب الاعلان عن كيانها والتعبير عن شخصيتها اخذا قويا . ومع ذلك لم يشر ما تعلمناه من تاريخ الى شىء يوضح لنا ذلك . فمن منا ابناء هذا الجيل قد عرف مما علمونا من تاريخ مصر ان المصريين آلى أول هذا القرن كان يعبر عنهم عادة برعية الخديوى أو بالرعية وان كلمة الشعب المصرى لم تظهر فى قاموس الشعراء متحدية كلمة رعية الا اوائل هذا القرن . ومن منا أبناء هذا الجيل قد عرفه ما درس من تاريخ مصر أن صاحب الجريدة مثلا كان مضطرا لأن يعرف كلمة « الرأى العام » لان الرأى العام لم يكن موجوداً ولم يكن من الممكن له ان يكون موجوداً . ذلك ان التعليم اذا استثنينا التعليم الدينى كان اكثره فى أواخر القرن الماضى باللغة الاجنبية .

كذلك لم يعلمنا التاريخ الذى تعلمناه فى المدارس شيئا عن جهاد الشعب

فى سبيل التعبير عن نفسه عن آلامه وعن أمانيه بل لم نجد ممن علمونا الادب المصرى من قد بين لنا كيف عبر الشعراء والكتاب عن آلام الشعب وأمانيه • وانما عرفنا من الادب الجديد ومن الشعر خاصة قصائد المناسبات كما يسمونها وكلها تدور حول الاحداث الجسيمة التى كانت تحدث للسلطان وكل ما كان يحدث للسلطان جسيم بلا شك حتى الاعياد التى تمر عليه مرا رفيقا جميلا •

ولست اظن ان احدا من هذا الجيل قد اسعده الحظ بأن اقرىء فيما قد اقرىء مقالات أو قصائد يحاول فيها المؤلفون ان يعبروا عن اليأس والحيرة والتخبط الذى ظلله الفقر والظلم والاستعباد لان هذا كان معناه ان المعلم يقول لنا ان المصريين لم يكونوا سعداء بالسلاطين والملوك والمستعمرين وحاشا ان يفعل ذلك •

ولكننا منذ اعوام قليلة قد اخذنا فى الجامعة خاصة نفيق من ظل هذه الاوهام واخذنا نبحث فى تاريخنا القريب ونستشف من خلال ادبه الرسمى والشعبى هذه النوازع وتلك الحياة الحقة التى كان يعيشها المصريون طوال هذا القرن الماضى وخاصة فى النصف الاخير منه -

وحفز الكتاب تغير الحال فى مصر ورجوع السلطان الى ابناء مصر الحقيقيين واعتراف اولى الامر بان الشعب والشعب وحده هو مصر لانه هو المصريون

ومن هؤلاء الكتاب الذين اخذوا فى درس هذه الحقبة من الناحية الادبية الزميل الدكتور محمد حسين استاذ الادب الحديث فى جامعة الاسكندرية فاخرج لنا هذه الايام الجزء الاول من كتابه « الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر »

ويتناول هذا الجزء الادب المصرى المعاصر الذى يصور الاتجاهات الوطنية منذ الثورة العرابية الى قيام الحرب العالمية الاولى • ولقد اراد المؤلف ان يضع بين ايدينا نصوص الادب التى صورت حياة مصر بولاتها ومستعمريها وحكامها وشعبها تتلاعب بسياسة مصر خاصة وبمجتمعها وحياتها بوجه عام

ولشرح هذه التيارات كان لابد للمؤلف من أن يقدم لنا فى الفصل الاول والثانى الدعامتين الاساسيتين اللتين قامت عليهما الحياة السياسية فى مصر ابان هذه الفترة . دعامة الدعوة الى الوحدة الاسلامية ودعامة الدعـــوة الى الوحدة المصرية ولقد أفلح المؤلف فى الكثير من تصوير كيفية تجاذب الدعوتين وتلاقيهما وتفرقهما وبين كيف تلاقيتا فى مصر لتفترقا فيها أيضا . فلقـد كانت الخلافة العثمانية فى اضمحلال ظاهر ونذر الخراب تنعق حولها فى كل مكان . والاستعمار وعلى رأسه الاسد البريطانى يحاول ان يبتلع كل ما يمكن ابتلاعه من بقايا هـــذه الامبراطورية العظيمة . ولما كانت رابطـــة الامبراطورية رابطة دينية فلقد اخذت هذه الحرب مظاهر الحروب الصليبية مرة أخرى فى تاريخ الانسانية .

ولكن الانجليز يحاربون كما حاربوا دائما بجيوش الغير وبالســـياسة كما يسمونها هم والدســـائس كما نســـميها نحن . فاذا أيديهم تحرك الشعوب للثورة على السلطان عبد الحميد وفى الوقت نفســـه يحاولون ان ينزعوا منه النفوذ الدينى بأن يحاولوا أن يخلقوا خلافة دينية خلافة لاشأن لها بالسياسة فى بلاد العرب مهد الاسلام طبعا تحت حمايتهم هم السياسية . ولقد بسط المؤلف كثيرا من جوانب هذه الحركات البريطانية ولكن اهمها وهى هذه المحاولة بالذات اكتفى فيها لست ادرى لماذا بمجرد الاشارة اليها . بل انه لم يذكر اسم لورانس آخر بطل فى هذه المحاولة ولا بالاشـــارة . وكتاب لورانس ومذكراته فى هذا الصدد كانت تنفع كثيرا فى جلاء هـــذه المحاولة التى لم يعرف عنها المصريون اذ ذاك الا اغمض الاخبار . فلقد كانت مغامرات هذا الضابط اشبه بالاساطير منها بالحقائق . وهى تكشف الكثير عن مخازى السياسة الاستعمارية .

وتحضرنى ملاحظة عامة على هذا الجزء التاريخى من الكتاب وهـــو اغفال المصادر الاجنبية الا فى القليل منها مع أن الذى كتبه الفرنسيون والانجليز وحديثا الامريكيون عن هذه الحقبة من تاريخ مصر يعد مكتبة قائمة بذاتها ما اجدرنا باستغلالها باحسن مما استغللناها الى اليوم . ولا يكفى فى ذلك

ان نرجع الى المقالات او الكتب التى كتبها بعض المصريين المغامرين فى هذا الصدد فان اكثر هؤلاء كان ضعيف الالمام بهذه اللغات فكان رجوعه اليها فى اغلب الاحيان رجوعا لا تقره الاساليب العلمية الحديثة .

أما فى الفصل الثانى فلقد عرض الى فكرة المصرية وكيف اخذ المصريون لاول مرة فى تاريخهم يحسون مصريتهم ويتحمسون لها وكيف افسد الاستعمار فكرة الجامعة الاسلامية فى مصر بالذات بالدس لدى الاقباط واثارتهم ولكن روح مصر تتغلب آخر الامر على كل شىء واذا ابناء النيل يخرجون من المحنة حتى بعد احداث قوتها ظافرين باخوتهم التى لا يمكن ان يصدعها صدع اقوى ايمانا واشد تماسكا واروع اتحادا حتى كانت ثورة مصر او بعث الروح عام ١٩١٩ فاذا المستعمر يرى بعينى رأسه ان هذا المنفذ لا يمكن ان ينفذ منه مرة أخرى .

والسلطان فى تركيا يذل ويرفع والخديوى فى مصر يريد ان يستقل فيقوى ويضغط عليه الترك او الانجليز فيتأرجح بين القوتين لا يكاد يصمد الا قليلا لانه يحس بالفطرة ان الشعب لا يؤيده لانه لم يكن منه بحال من الاحوال . ويمثل عباس دور فاروق بالحرف لا يكاد يحيد عنه الا فيما لابد للزمن من ان يغير فيه . والشعب المصرى هو هو صامد لا يتغير يعرف متى يؤازر ومتى يقف ساكنا بل متى يندفع فى التأييد .

وتتولد من كل هذه التيارات احزاب سياسية ولكل حزب جريدة ولكل حزب لسان شاعر وللشعب السنة كثيرة ـ السنة حرصت ان تكون له ابدا

ولكن قصر نظرها كان يدفعها الى ان ترى ان خير الشعب فى مناصرة الخليفة او فى مناصرة الخديوى او فى مناصرة الفرنسيين ليعاونوه على طرد الترك والانجليز . وقلة قليلة من بين هذه الاقلام وشاعر أو اثنان قد ثبتوا بفطرتهم على الايمان بالشعب وبان الشعب وحده هو الذى سيحرر نفسه وهو الذى سيصل الى الحرية بالكفاح . بل ان منهم من استطاع ان يقول

انه بالاخاء بين المسلمين والبلاد العربية نستطيع متكاتفين مالا نستطيعه فرادى •

وتركيا تتقوض اركانها وتركيا الفتاة حزب تركى يناوىء السلطان ويلجأ هؤلاء من بطش السلطان بهم الى مصر واذا تركيا الفتاة تلد مصر الفتاة واذا أحداث تركيا تعكس اضواء ثورتها كما عكست اضواء حروبها ومشاكلها من قبل على الحياة فى مصر •

كل هذا والمستعمر فى تزايد قوة وارتفاع شأن يرى الخلاف فيطرب فاذا هدأ أثاره من جديدة • ويتنبه الشعب الى هذا ويحس الشعراء احساس الشعب فيثورون على المختلفين وينبهون الغافلين واذا ما نقوله اليوم كان يقال منذ خمسين عاما ولكن بعد ان سرنا نحو اهدافنا خطوات واسعات • والكتاب والشعراء ابدا متيقظون يدلون على الادواء ويعبرون عن الاحزان ويصورون الآمال ويتشوفون المستقبل بعين الرضى او عين الاشفاق • أو ليس من العجيب ان نعرف أن البارودى مثلا كان يقول عن حركة عرابى : « لقد كنا نرمى منذ بداية حركتنا الى قلب مصر الى جمهورية مثل سويسرا ومع ذلك فسنجتهد فى جعل مصر جمهورية قبل ان نموت » •

واخيرا يكشف لنا هذا الكتاب فى فصله الاخير عن بعض دعوات الاصلاح التى اصطبغت بالطابع السياسى احيانا وتداخلت فيه لدعوات التجديد وانفصلت عنه كدعوة تحرير المرأة مما كان له كله صدى فى الشعر أو الادب عامة ، فيقدم لنا بذلك كله نواة صالحة لان تبدأ هذه الدراسات وجهتها الصحيحة نحو التعمق والزيادة والانتشار ليعرف المصريون انفسهم ووطنهم بمعرفة تاريخهم هم على ارضه وتحت سمائه •

تركيا والسياسة العربية

(من سلسلة اخترنا لك)

اخرجت المطابع منذ يومين كتاب تركيا والسياسة العربية فى سلسلة « اخترنا لك » التى سبق ان تحدثنا عن كتابين من كتبها • والموضوع فى حد ذاته هام جدا ولا شك وعلاقة مصر بجيرانها اليوم لابد ان تكون هدف المؤلفين حتى يعرفوا الناس الحقائق آلتى يجب ان يعرفوها عن هؤلاء الجيران منهم المخلص لنا المندمج فى كياننا كالدول العربية ودول شمال افريقيا ومنهم من يتطلع الينا يرجو منا أن نؤازر ونعين لدول افريقيا الجنوبية ومنهم من هو منا ونحن منه لا يمكن الا ان نسمى وطنا واحداً كالسودان ومنهم من هم بعيدون عنا الى حد ولكن الروابط التى بيننا وبينهم ليس من السهل ان تفصم عراها • ومن هؤلاء ايران والباكستان والهند وتركيا • ولعل تركيا هى أقرب هذه البلاد جغرافيا الينا وهى فى تاريخنا أيضا تتصل بنا اتصالا وثيقا كما هو معروف فلا غرو ان نبدأ الحديث عن هذه الجارة نتبين فى ضوء من التاريخ والجغرافيا ما يمكن ان تقوم عليه صلتنا بها فى المستقبل القريب •

ان الانسان نشأ وفي طبعه حب البقاء فكان لذلك يدافع عن نفسه ويتكلف أنواعا من الشقاء فى سبيل هذا الدفاع ثم تدرج فأخذ يحس أنه هو واسرته يمكن ان يكون نواة يتقوى بعضها بالبعض فيكون الدفاع اقوى والتقوية أيسر ثم تدرج فشعر أنه فرد فى قبيلة ثم فرد فى أمة ولكن الشعور الجديد الذى اخذ يطل على العالم منذ اواخر القرن الماضى وما زال فى طور النضوج هو شعور الانسان بانه فرد فى مجموعة دول تتفق صوالحها وترتبط فى الوقت نفسه برباط قوى من جنس أو دين أو لغة أو جوار جغرافى • ومن يدرى لعل الانسانية ترقى وترقى فيحس الفرد

انه فرد فى الانسانية كلها يعمل لصالحها وتقويتها والدفاع عنهـا لان فى هذا العمل حياته بل فى التقصـير فيه الفناء ٠

والكتاب يحدثنا فى اقتضاب شديد عن نشأة دولة تركيا وهذا بالطبع ملائم للموضوع لاننا نريد منها علاقتنا بها ولم تكن لنا ايام تشأت تركيا صلات بها ٠ حتى جاءت الدولة العثمانية فاذا نحن فى هذه الدولة الجديدة منطقة من اهم المناطق ٠ واذا نحن اكثر الدول فى رقعـة الدولة العثمانية كلها اتصالا بتركيا للسبب الذى ذكرت آنفا وهو القرب الجغرافى واتحاد الدين ودخول اللغة العربية مع الدين فى كل قطر دخله الاسلام ٠

وهنا يفصل لنا الكتاب هذه العلاقة ويبين الاخطاء التى ارتكبتها الدولة العثمانية فى حق المسلمين والشرقيين والعرب بل الاندلسيين المسلمين فى اقصى الغرب ٠ ولكن منصفا يبين فى الوقت نفسه كيف ان هـذه الاخطاء قد عادت على تركيا نفسها بقدر قليل من الخسائر بل بشىء جوهرى جعل تركيا لكى تصلح من نفسها ايام كمال اتاتورك تضطر ان تجابه شـعور العرب والمسلمين جميعا فتعترف أنها مكروهة ولا يمكن أن تعتمد على من اثارت فى نفوسهم كل هذه الالوان من الكره ٠

وقام اتاتورك ينقذ المريض العليل من براثن الموت ويخلق من الشعب المتـداعى المريض قوة جديدة ولكن بعد أن حاول آخر سلاطين آل عثمان محاولته فى الانقاذ فلم يفلح ٠ فاسـتضاء كمال اتاتورك بتلك المحاولة وعرف ان المسلمين لن يعاونوا تركيا فى صحوتها الجـديدة ٠ ان الرابطة الاسلامية فى شتى مظاهرها هى وهابية وسنوسية وغيرهما لم يكن من السهل ان تخدع عن واقع تركيا واستمرت هذه الدعوات الى اتحاد المسلمين فى اقطار الارض ولكن انقاذ تركيا لم يفلح السـلطان ولا خلفاؤه فى ان يجعلوه هدفا لتلك الروابط كما أمل عبد الحميد ٠ يعنى أن الفكرة السليمة خلدته وعاشت والاسـتغلال المرغوب فيه منها مات ٠ لانه ضد طبيعة الاشياء ٠ لذلك نحى كمال اتاتورك بتركيا ناحية الغرب فى قـوة إثارت

الشعوب الغربية وربط سياستها بسياسة الغرب ربطا قويا ما زالت الى اليوم لا تستطيع تركيا الفكاك منه • ولعل موقفها من مسألة اسرائيل كان افظع ما اثار الشعور ضدها فى هذه السنوات الاخيرة • ولكن أليس من الطبيعى ان تربط تركيا نفسها هذا الربط القوى بعجلة الغرب ؟ وهل كان يمكن بعد ما قام به آل عثمان وخاصة فىأواخر أيامهم أن تطمئن تركيا الى العرب او الى المسلمين •

ولكن تركيا صحت وقويت واصبحت أمة لها قيمتها الدولية وهى قوية العضد أمام الشيوعية الجاثمة على أبواب الشرق • وتركيا اليوم تتحدث بنغم جديد فقد أذاعت وكالة الأنباء التركية « ان مصدرا مسئولا فى القاهرة قد صرح بان المباحثات الدبلوماسية التى جرت مؤخرا بين مصر وتركيا ستستمر وان الغرض منها العمل على تعزيز الصلات بين البلدين تمهيدا للقيام بمباحثات أخرى بين السياسيين المسئولين فى البلدين • وستبدأ هذه المحادثات بعد توقيع اتفاقية قناة السويس »

وهذا معناه انه قد آن الاوان لان تفكر مصر فى علاقاتها بتلك الجارة المؤثرة فى تاريخها ايما تأثير • أليس لها فى كل بيت من بيوتنا المصرية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى مقدمة الكتاب تاريخ واثر •

وهذا كتاب يعترف فى صراحة قوية بأخطاء تركيا بل أخطاء دولة آل عثمان بالذات وهو يحملهم فى عدل مسئولية الشعور الذى اثارته سياستهم بين المسلمين فى تاريخ الشرق الحديث بل فى تاريخ شمال افريقيا ايضا • ولكن وهذا هو الاهم يعترف بالواقع • فالواقع ان الجنس قد انتشر فى العالم الاسلامى من الفرات الى مصر على الاقل • والواقع ان تركيا رغم كل محاولات التفرنج التى قام بها مصطفى كمال وأتباعه مسلمة • نقل العاصمة ولكن المآذن فى آستنبول لا زالت تردد آذان الاسلام ولا زال الشعب كله مسلما • كتب الحروف باللاتينية وفرض لبس القبعة وفرض عدم الإتصال بالعرب ولا المسلمين والا يعتمد عليهم فى شىء وجعل الاحد يوم العطلة

الرسمى وفعل هو وفعل اتباعه من بعده ولكن اليس كل هـــذا فى عصر من عصور تركيا • ومهما يؤتى أى مصلح قوى عظيم باصلاحاته من القـوة والســيطرة فلن يســتطيع تغيــير موقــع الدولة الجغرافى • وعلى ذلك ظلت تركيا جارة من اقرب الجيران مسلمة رغم ربط سياســتها بسياسة الغرب •

وفى ضوء الامكانيات الجغرافية والتاريخية وفى ضوء الروابط الدينية السليمة القوية التى يمكن ان تعاون المسلمين فى كل الاقطــار ويمكن ان تعاون المكافحين فى أى هدف مشترك يرى المؤلفون انه يجب على المصريين ان يفكروا فى تركيا من جديد فلعل سياسة مصر المستقلة تكون لبنة أولى فى سبيل تساند المسلمين جميعا حتى مسلمى تركيا ليكونوا قوة مؤثرة فى سبيل سعادة الانسانية وتساند سكان افريقيا وآسيا وتركيا نفسها لدفع أخطابوط الاستعمار عن كل بلد مستعمر فى هاتين القارتين •

إفريقيا

(من سلسلة اخترنا لك)

تصدر سلسلة اخترنا لك الشهرية كتابا كل شهر ولها هدف واضح في اصدار هذه السلسلة وهذا الهدف هو ايقاظ الوعي القومي العربي خاصة • ولقد اصدرت في هذا الموضوع ثمانية كتب كان كتابا افريقيا هو ثامنها • وهو خاص بافريقيا الشمالية وسيصدر بعد ايام الكتاب التاسع خاصا بجنوب افريقيا جنة البيض وجحيم الملونين •

وليس من شك ان هذا الهدف الذى نصبت السلسلة نفسها للوصول اليه من أهم الاهداف التى يجب ان نسعى اليها اليوم فى مصر ان لم يكن فى نظرى اهمها • فلكى تقوم فى مصر جمهورية ثابتة الاركان ولكى يقوم فى مصر حكم يعمل لصالح الشعب فعلا بعد ان ظل الحكم يعمل لصالح الحكام قرونا طويلة لابد من ان يرتكز هذا كله على دعامة قوية من الرأى العام والوعى القومى • بل انه لكى تنفسح الآمال امام مصر بحيث تصبح الاخت الكبرى لكل هذه الدول الاسلامية العربية والاخت الكبرى لكل المجاهدين فى سبيل التخلص من الاستعمار فى قارة افريقيا لابد من ان تنفسح امامها آفاق التفكير وآفاق الادراك لمركز مصر أولا ولاحوال هؤلاء الأخوة جميعا مسلمين وعربا وافريقيين ثانيا •

ولكنى قبل آن اعرض الكتاب اعرض لمشكلة اسياسسية وهى : الى من توجه هذه السلاسل انها لا توجه الى الكثرة الغالبة لانه ليس من الممكن للأسف أن توجه اليها هذه الكتب لأنها لا تكاد تعرف كيف تقرأ • والذى لا شك فيه أن الصفوة المتعلمة لا تحتاج الى ايقاظ وعى بل تعريف بمعلومات لانها تستطيع آن تقرأ هذه المعلومات مفرقة ومجموعة باشكال شتى • والذى لا شك فيه ان هذه السلسلة بالذات موجهة الى

القارىء العادى وهذا القارىء العادى كثرة ولا شك انه كثرة تزداد على مر الزمان وستزداد فى مصر بسرعة اسرع مما سارت به فى أى بلد آخر ويكفى ان نذكر ان حكومة الثورة قد اقامت ثلاثمائة وثلاثا وسبعين مدرســـة فى عامين ٠

كل هذا معروف ولكنى اعود فأسأل القائمين بامر اصدار هذه السلسلة هل راعوا القارىء العادى فعلا فى طريقة ما يصدرون من كتب بل انى أقول انصافا فى هذا الكتاب بالذات فلقد راعوه فعلا فى اكثر مما اصدروا ٠ ان المعلومات لتتزاحم فيه ، تاريخ واحصاء وسرد كثير متكاثف يســابق بعضه بعضا على الصفحات فهل يستطيع القارىء العادى ان يصبر على كل هــذا دون ان تكون هناك فترات راحة يستطيع اثناءها أن يزدرد هذه المعلومات بالفعل ٠ وكم فى تاريخ هذا المغرب العزيز علينا من احداث مفعمة بالالوان والصور الحية التى تستطيع لو انها صورت تصويرا بســيطا ان تنفذ الى قلب القارىء فاذا عقله يعى المعلومات ــ التى أسلم بأنه لابد أن يعيها بقلب نابض وخيال حى ٠

لقد عرض المؤلفون الى هذه الاقطار المغربية الثلاثة قطرا قطرا كل منها على حدة وهذه ضرورة بلا شك يستدعيها الموضوع ٠ ولكنى كنت انتظــر مقدمة من صلب الكتاب تبين الخطوط الرئيسية فى التاريخ والجنس التى تجمع بين هذه الاقطار جميعا بحيث يتحقق عندى مفهوم المغرب والمغاربة كما كان متحققا طوال الــدولة الاسلامية وكنتأنتظر ، ولعمل هذا هو الاهم ، ان اعرف فى فصل مطول بسيط صلتى انا مصر بهذه الاقطار على مر الزمان ٠ أن المؤلفين لم يشيروا مثلا حتى ولو من بعيد الى هذه الارض التى تفصلنى عن المغرب ــ الى ليبيا ولا من حيث انها قطر من هذه الاقطار فهى ليست منها ولا شك ولكن من حيث انها حلقة السلسلة التى تصلنى بهذه الاقطار صلة الارض والجوار ٠ ولاخواننا الليبيين تاريخ فى الاستعمار أى تاريخ وهم بعد مفتاح مصر الغربى وهم وتونس يشتــركون فى الكثير

وهم ومصر يشتركون ايضا فى الكثير وليس عبثا ان يوجد هـذا القطـر الاسلامى العربى بيننا وبين المغرب وان يفصل عنا هذا الفصل ٠

ان المغرب كان يمكن أن يظهر كما ظهر فى الكتاب بتاريخه وجغرافيته واقتصـاده وآمـاله كلا واحـدا نابضـا بالحياد بالأمل المرجـو له مستشرفا آمالا فى مصر ومتطلعـا اليها ٠ ما قابلت فردا من هذه الأقطار بعد الثورة المصرية الا قال لى انكم قبلتنا ٠ اننا جميعا نتجه شرقا للصلات وشرقا للامل فى التحرير ٠ ولاشك ان الكتاب يعرض تاريخ كل قطـر عرضا حسنا موجزا ولا شك ان كل جزء من اجزاء الكتاب الثلاثة قد كان واضح الهدف بين الطرفين فهو يريد ان يصور تاريخ الاستعمار فى هـذه الاقطار وجهاد ابطاله فى سبيل التحرير والخطوات الهينة اليسيرة التى احرزوها الى اليوم من مستعمر جبار واحد هو فرنسا ٠ بل ان اسـتعمار فرنسا وحده كان حقيقا بفصل قصير لتتبين اغراضـه وليتضح للقارىء العادى كيف استطاعت أمة خلدت اسمها فى التاريخ بانها أول من حـرر الشعب من استبداد الحكام ان تكون هى نفسها التىتستعبد الشعوب بافظع انواع الاستعباد ٠

لقد ارادت مصر مثلا ان تقيم معهدا عربيا للدراسة فى الجزائر وحصل الدكتور طه حسين وزير المعارف اذ ذاك على موافقة وزير المعارف الفرنسى على هذا المشروع الذى كان يستهدف خدمة الثقافة الاسلامية لا عن طريق اتصال علماء مصريين بمستشرقين فرنسيين ولكن عن طريق اسـتخراج ما فى خزائن الكتب الخاصة المدفونة عند مسلمى الجزائر والتى لم يكن من المستطاع ابدا ان يفتحوها للنصارى المستعمرين ٠ ولكن وزير داخليـة فرنسا ابى ان يأذن بتأشيرة الدخول لمصريين مسلمين فى الجزائر بسبب القـلاقل التى كانت مضطرمة اذ ذاك فى مراكش ٠ وهكذا صرح العلم أن يتصل المسلمون فى هذه الاقطار بعضهم بالبعض وابت السياسـة ذلك ونفذت السياسة اغراضها ودفنت فكرة المعهد الى حين ٠ واستطعت بهذه المناسبة ـ فقد كنت عضوا فى هذه البعثة ـ ان اعرف من جزائريين زارونا

مقدار فزع فرنسا لاى اتصال من هذا النوع • ان الكتب العربية التى تعلم الحروف الابجدية المطبوعة فى مصر بضاعة محرمة كالافيون على شمال افريقيا ومع هذا فان طيف مصرى مسلم يكاد يقدس تقديسا لو انه مر بهؤلاء الاخوة • ان الدين الاسلامى متغلغل فى هذه النفوس ، ساذجها وداهيتها ، تغلغل الحياة نفسها • لقد تحدث الى جزائرى مرموق متزوج فرنسية ويتحدث الفرنسية بطلاقة وهو حاصل على اجازات علمية فرنسية ممتازة ومع ذلك كان ايمانه بالدين الاسلامى وآيمانه بالوطن الجزائرى وفهمه لكل الألاعيب الاستعمارية فى بلاده فوق ما كنت انتظر بكثير • لقد استطاعت فرنسا أن تنشر علمها وان تحبب بعض اهل البلاد فى بعض ساستها وان تستعمل بعض الخونة لتنفيذ اغراضها ولكنها لم تفلح ولن تفلح ان تحتل فى قلوب هؤلاء مركزا يزعزع آيمانها بالوحدة الاسلامية وبالصلة العربية التى تربط كل المسلمين الناطقين بالعربية •

لماذا اخفق الفرنسيون فيما أفلح فيه العرب منذ ثلاثة عشر قرنا السبب ابسط من أن يذكر ان العرب ارادوا فتحا وانتشارا للدين ولم يريدوا قط استثمارا ولا استعمارا • أن من دخل الاسلام فهو فى الدولة كالفاتح سواء بسواء وان من لم يدخل فهو آمن على دينه ومصالحه بشرط الا يخل بنظام الدولة العام •

ان المغرب بصوره الحية بطلبته الذين قابلتهم فى باريس ومنهم نسيبة التى كانت تدرس الطب لتشفى سيدات تونس المحرومات من مستشفيات الفرنسيين • بل انه بمستعمريه الذين قابلتهم فى فرنسا والمدافعين عن استعمار فرنسا لمآربهم الشخصية من الانجليز والمدافعين عن شعب مراكش من الامريكيين • وفى دفاعهم شوائب المصلحة الخاصة • فلقد اقيمت على سواحل مراكش الغربية مطارات تجعل الامريكيين على بعد شقتهم لهم هم ايضا نصيب فى هذه الغنيمة التى تكاثرت عليها الذئاب •• ان كل هؤلاء قد ثاروا فى خاطرى واتخذوا لانفسهم حياة جديدة وآتصلت بينى

وبينهم الاسباب فى ضوء جديد ونور اقوى حياة واشد سطوعا بسبب هذا الـكتاب ٠

لقد اجاد الذين اعدوا هذا الكتاب ايما اجادة فى جمع هـــذه المعلومات وترتيبها وعرضها على جمهور القراء فى الوقت المناسب ولئن اخذت عليهم شيئا فى طريقة العرض فما ذلك الا لأنى أومن بالهدف الذى يؤمنون ايمانا يبرر ان اتطلع الى المثل الاعلى فى طريقة الوصول الى الهدف المنشود ٠

ان الحرارة التى تتدفق من كلمات الرئيس جمال عبد الناصر فى المقدمة وهى قوله فى آخرها « انما نريد نحن العرب ونحن المسلمين ونحن اهــل الشرق ان نكون كتلة واحدة تؤيد دعوة الحق والخير والسلام وتقاوم مذاهب البغى والعدوان والدمار ٠ الى ذلك يدعونا ديننا ومواريثنا العقلية والخلقية وايماننا بالحرية والكرامة وبكل القيم الانسانية الرفيعة ٠ فليؤمن بهــذه الحقائق من شاء من كبار الساسة وصغارهم فى العالم الآخــر ، قبل ان تكتسحهم الموجة الطاغية المدمرة فيقولوا ولات حين مقال ليتنا اتخــذنا المسلمين عضداً » ٠

ان الحرارة التى تتدفق من هذه الكلمات مفتقدة فى الكتاب طغت عليهـا الرغبة الصادقة فى نشر المعلومات والتعريف بهذه الاقطار والتعريف بحياة الاستعمار عليها بنوع خاص والرغبة صادقة ولا شك ضرورية ايضا بلا جدال ولكن ايقاظ الوعى فى طبقة كانت الى حين ضائعة تائهة يحتاج الى حرارة اقوى والى وسائل اثبت واكثر تشويقا حتي ليتبلور هــــذا الوعي ويتركز فنصل الى الهدف المنشود ٠

نساء النبيّ

للدكتورة بنت الشاطئ

ليس كتاب نساء النبى صلى الله عليه وسلم أول ما أصـــدرت الدكتورة بنت الشاطىء من كتب عن بطلات الاسلام ونســائه المؤثرات فى تاريخـه فلقد أصدرت فى نفس السلسلة سلسلة كتب الهـــلال الشهرية كتابين من قبل فى نفس الموضوع الأول عن بطلة كربلاء والثانى عن « آمنة بنت وهب » أم الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

ولكن كتابها هذا الأخير ينفرد بطرافة تميزه فهو ليس ترجمة حيــاة امرأة بعينها ومحاولة درس أثرها فى البيئة التى عاشت فيها وأثر البيئــة فيهــا ٠

ولكن درس بيئة معينة من خلال من عشن فيــها ليلقى هـــذا الدرس أضواءه على الشخصيات التى اضــطربت فيها وهذه البيئة هى بيت النبى عليه الصلاة والسلام ٠

لذلك نراها منــذ المقــدمة تستبعد من كن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ولم يدخلن بيته ولم يؤثرن فى حيــاته العائلية تلك التى عاشها فى بيت خديجة فى مكة وفى دوره حول المسجد فى المدينة ذلك أنها انما تريد أن تدرس بيت الرسول صلى الله عليه وسلم لا هؤلاء الزوجات فى حد ذاتهن وتمشيا مع هذا النهج الصحيح نراها لاتعرض لحياة الزوجات زوجا زوجا وانما هى تأخذ من حياة السيدة قبل أن تدخل بيت الرســـول صلى الله عليه وسلم السمات العامة التى كانت خليقة أن تملأ الجو قبل أن تدخله والتى كانت تحبط بها يوم دخلته ٠ تلك السمات والمعلومات التى تجعل

دخلتها تستقبل استقبالا معينا ويدبر لها من التدبيرات مايتناسب ومطامع ساكنات البيت من جهة وحب الزوج الكريم من جهة أخرى .

ولم يكن تصوير هذا البيت من السهل فلئن ضاعت بعض معالم هذه الصـــورة فما ذاك الا لصعوبة الموضوع صـــعوبات من الصعب بل مـن المستحيل أحيانا اجتيازها . ان أخبار هذا البيت الكريم على صحتها والثقة فى صدقها قليلة متناثرة بعيدة فى القدم بعدا ليس من السهل أن نتجاوز مـداه . وأن الأديب الفـذ ليصور بيتـه الشـخصى فيجـد صعوبات أى صعوبات فى نقل هـــذا الذى يرى ويحس فكيف بمن تريد أن تستشف من خلال أربعة عشر قرنا صورة بيت بعيد هناك فى مكة أو فى المدينة .

ولم يكن جو هـــذا البيت من السهل أن يصور حتى لو وجد فى أيامنا هذه فهو بيت نبى مرسل .

ولكنه لا كالأنبياء ، هو نبى من البشر .

فهو انسان بكل ما فى الكلمة من معنى وهو فى الوقت نفسه رســول مرسل من السماء ... لذلك اختلطت الانسانية والنبوة فى شخص محمد عليه الصلاة والسلام اختلاطا هو فى حـد نفسه معجـزة من معجـــزات الاسلام .

وكان محمد يردد قوله عز وجل : « قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا » . لذلك نرى المؤلفة تعرض لهذا الاشكال فى أول فصل من كتابها وتحاول من خلاله أن تحدد الحدود التى يمكن لها أن تجول فيها فى وصف بيت هذا « البشر النبى » .

ولم يقتصر الأمر على هـــذه الصعوبة وحدها ولكن وحى السماء كان يتعرض كثيرا الى تنظيم الحال فى هذا البيت . يعرض النبى صلى الله عليه وسلم عن نسائه فيأتيه الوحي بأن يكف عن هذا الاعراض .

وكذلك ينزل الوحى فى أمر زينب زوج زيـد ربيب الرسول صلى الله عليه وسلم فاذا ما اختلج فى الصـــدر من عاطفة تقاوم فى بطولة وكرامة ينبعث طليقا حرا ويخفف من آلام النفس فيباح الزواج من زوج جديدة • وهكذا لم يكن الأمر فى هذا البيت كله الى نسائه أو الزوج وانما الأمر فيه كان جـزءا من الرسالة السامية ذلك أنه بيت يتـطلع اليه المسلمون بل ما زالوا الى اليوم يتطلعون الى صورته من خلال القرون ليقتدوا بما كان يدور فيه من معاملات فى معاملاتهم اليوم •

وبعد أن تعرض لهذه الصعوبة تبسط لك المسألة الثانيـة وهى السمة البارزة فى حياة هذا البيت سمة تعدد الزوجات ومايستتبعه تعددهن من حياة معينة • والمؤلفة تتخذ لنفسها موقفا معينا من هـــذا • هو موقف وسط بين المتهجمين على الاسلام من المؤلفين الأجانب وبين المتحمسين للاسلام يريدون أن يردوا على مزاعــم الغرب فيبالغون أحيانا ويكلفون الوقائع فوق طاقتها حينا آخر •

وموقفها هو موقف المرأة المجربة ، فهى لا تجرد الرسول من العواطف الانسانية البشرية • فالرسول انسان بشر وهى فى الوقت نفســـه ترى افتراء المؤلفين الغربيين وقد دفعوا اليه بعوامل الحقد على المسلمين وتنزه الرسول فيما حاولوا افكا أن ينسبوه اليه • ولكنى لا أتعرض الى موقف المؤلفة فى تفصيلاته فلعلى لا أوافقها على الكثير منها ولكنه فى جملتــــه والأهم من هذا أنه فى جوهره سليم واضح لا يمكن أن يعارض ولكن الذين يقولون ان الرسول ما تزوج هذه أو تلك الا مرضاة لأهلها وتآلفا لقلوب المؤمنين من حوله أو تخفيفا عن آلام ألمت بهم أو مصائب حلت عليهم ليسوا فى كل ما قالوه مدفوعين بحماس الدفاع وحـــده • ففى الروايات التى ذكرتها المؤلفة نفسها مايؤيد شيئا كثيرا من هذا •

• فاذا أردنا الا ننكر عليه السلام بشريته فاعترفنا بأنه يتأثر بالجمـــال والحب فلا بد لنا من أن نظلل هذا التأثر بما قد ظلله من التاريخ والروايات

من ارتفاع به فوق تأثر البشر لأنه تأثر نبي كريم قد رفعت عنه الحجب فرأى نور الله كما لم يره إنسان بعد ·

وتتبع المؤلفة في كتابها طريقة سليمة سهلة هي التعرض لنساء النبي واحدة تلو الأخرى حسب ترتيب دخولهن حياته وهي تقف أمام زوجه الأولى خديجة وقفة طويلة تستحقها فلقد كان لها وحدها أكبر الأثر في الدعوة الاسلامية وفي حياة صاحبها قبل النبوة وبعدها والأهم من ذلك في لحظتها الحاسمة · لقد آمنت خديجة أول من آمن · ولقد واست وآزرت وساعدت يوم كان النبي وحيدا يعاني أصعب فترات المعركة التي تزعمها ضد الشرك والمشركين ·

ثم انتقلت الى الكلام عن عائشة وبيت عائشة في المدينة وان تكن قد زوجت الرسول في مكة · والفرق بين خديجة وبين عائشة وضرائرها واضح ولعله فرق يؤيد بعض الشيء موقف المتحمسين للدفاع الذي أعترف أنهم يبالغون فيه أحيانا · فلقد كان الرسول شابا تطمع فيه نساء مكة لشرفه وجماله وخلقه يوم تزوج خديجة والفرق بينهما أكثر من خمسة وعشرين عاما · وعاش معها ربع قرن من الزمان تقريبا في ابان الفتوة وسورة الشباب ، فلم تهف عينه لحسناء ولم يخفق قلبه بحب غير حب خديجة التي وجد فيها أما وملاذا وأمنا ·

فما السر ياترى أنه بعد أن فقد زوجه سيدة النساء ملأ بيته الذي لم يكن ليسع الاها وملأ قلبه الذي ظل يخفق بذكراها بكل هذا العدد من النساء ··· هنا وقفة بين البيتين ، البيت في مكة ، والبيت في المدينة ، كنت أطمع في أن أرى لها صدى في هذا الكتاب القيم ·

لقد أرادت المؤلفة أن تصور ما حدث ولكنها في كثير علقت ودرست واستنتجت ، بل ناقشت فليس اذن طمعي في مثل هذه الوقفة وهي ستعالج السمة البارزة في صورة البيت الجديد بالذي يستكثر ·

وتصوير الحياة فى البيت المدنى مملوءة بالحيوية تصوير رائع حقا فى كل حين يدق جرس الخطر فاذا وافدة جديدة يخشى بأسها أو لا يخشى يتحفز للقائها أو تدخل فى فتور • ولعل القدر أراد لهذا البيت لونا معينا فاذا كل نسائه لا ينجبن للرسول ولدا حتى مارية التى شذت عاشت بعيدا عن البيت نوعا ما ثم مات ابنها ولم يكمل العامين من حياته • لماذا ياترى أراد الله لهذا البيت أن يقفر من الأبناء حكمة من السماء •

ولكن لماذا ملأ الله بيت خديجة بالأولاد ، لماذا أراد الله لبيت خديجة الكمال فاذا هى فيه زوج واحدة لا شريك لها وأولادها من حولها ، ترى أكان الرسول يريد ولدا فاستكثر من الزوجات ، ان الروايات لا تسعفنا بشىء فى هذا •

وانقسم البيت الهانىء كما صورت المؤلفة فأحسنت التصوير الى معسكرين معسكر عائشة ومن استطاعت أن تواليها على (شغف) الرسول بها ومعسكر بعض الزوجات الأخريات وعلى رأسهن فاطمة بنت الرسول وهذان المعسكران لم يكونا ليلتقيا الا فى الملمات الجسام ، ولكن سرعان ما تظهر المنافسة بين عائشة الزوج الحبيبة وبين فاطمة البنت التى أصبحت فى آخر اليوم بنت الرسول الوحيدة •

وتذكر المؤلفة فى آخر الفصل الذى تحدثت فيه عن أم سلمة بنت زاد الركب رواية تصف كيف قدمت ابنها عمر بعد مقتل عثمان ليجاهد بدلها مع على • منكرة على عائشة خروجها بنفسها للقتال لأن الرسول قد ضرب عليهن حجابا فى حياته وهى تستحيى أن تهتكه ولكنها لا تذكر هذه الرواية فى الفصل الذى عقدته عن عائشة بنت أبى بكر مع أن أضواءها على شخصية عائشة أسطع من ضوئها على شخصية أم سلمة • اذ أن منها نفهم الكثير لا عن انحياز عائشة للمطالبين بدم عثمان فحسب ولكن عن ظاهرة خروج أم من أمهات المؤمنين للقتال بنفسها •

وبعد فلم أعرض بعد من هذا الكتاب الشائق الا الى لمحات · ولعل أسلوبه الذى لم أشر اليه ، لأن أسلوب المؤلفة معروف له معجبون خليق بالرغم من هذا أن أشير اليه اشارة قصيرة فلقد اكتشفت من جو الموضوع ومن بعض مصطلحاته القديمة ، بل من أعلامه وما يثور حولها من عواطف تتردد فى جنب كل مؤمن · لقد اكتسب من كل هذا سموا جديدا يرتفع به فوق ما قد ارتفع اليه من قبل درجات فريدة ·

المرأة فى مختلف العصور

ان أهم ما يعيبه الانسان على تصور مسألة أو مشكلة تصورا صحيحا هو أن يعرف تاريخها قبل الزمان الذى يواجهها فيه • لذلك اجل الناس التاريخ ودرسوه ليعرفوا منه احوال الانسان فى العصور المختلفة فتنير لهـم تلك المعرفة احوالهم الحاضرة • ومشكلة المرأة فى العصر الحديث مشكلة قديمة جـدا فى الواقع قد تعاقبت عليها ظروف واحوال فسارت نحو الرقى حينا ثـم نحو الفساد حينا آخر وتعاقبت عليها ظروف الفشل والنجاح فى تتابـع منظم عجيب • ذلك انه كلما توافرت ظروف بعينها من الطبيعة والاحداث على قطر من الاقطار ارتفع مقام المرأة فيه فاذا انقلبت هذه الظروف الى عكسها ذلت المرأة واستضعفت وسيمت الهوان •

وكتابنا اليوم يتيح لنا هذه المتعة فعنوانه المرأة فى مختلف العصـور ومؤلفه هو الأستاذ أحمد خاكى ذلك أنه يعرض علينا صورة المرأة عبـر القرون فى مختلف الأقطار لنرى فى وضوح مشكلة المـرأة وأحـوالها فى التاريخ فاذا مانحن فيه اليوم يتضح لنا ويبدو انه منطقى يتمشى وطبيعة الاشياء فى انسجام تام •

والمؤلف يقدم للكتاب بمقدمة قيمة عن الاختلاف بين المرأة والرجل فيجمع لنا فى هذا الفصل خلاصة الرأى العلمى فى هذا الاختلاف ثم يبين لنا ما يمكن ان يؤدى اليه • ومن أطرف مايقرر ان المرأة لم تضعف جسميا نتيجة عدم محاربتها الاعمال القوية ولكنها بحكم جنسها وبحكم تكوين خلايـا جسمها لابد ان تكون أقل قوة جسمية من الرجل وآن آلاف السنين بين التمرين العضلى لن تجعل الجنس اللطيف يصبح قويا • ان المرأة ضعيفة

فى قوة جسدها ولكنها قوية بل أقوى من الرجل فى قوة تحملها للتقلبات الجوية وللأمراض وللارهاق النفسى والعصبى . ذلك أنها أعدت لحفظ النوع وتنشئة الطفل ولن يغير من هذه الحقيقة تعاقب قرون أو تغير ظروف ستظل المرأة هى المرأة والرجل هو الرجل كل مافى الأمر ان الرجل استنتج من ضعف جسمها استنتاجات خاصة هى التى قادت الى ظلمه اياها.

ويسير المؤلف بعدذلك فى طريقه التاريخى فيعرض لنا صورة عن المرأة فى الجماعات البدائية الأولى ثم فى المدنيات القديمة مدنية قدماء المصريين ومدنية بابل وآشور والمدنية اليونانية ثم الرومانية القديمة والطريف فى هذا الفصل وقفته عند كل حال من أقوالها وارجاعه أسباب هذه الحال الى القواعد العامة التى قررها فى مبدأ هذا الفصل . فالمرأة فى البيئات الزراعية حيث يتيح الرخاء انواعا رفيعة من المدنية تتمتع بمركز ممتاز . فلقد قامت عبادة ايزيس فى مصر ونحتت تماثيل الملكات الى جوار الفراعنة أزواجهن دائما وملكت أرض مصر فى هذه الأزمان نساء دان لهن الشعب بالولاء والطاعة . وفى مدنية بابل لم يكن للرجل حق الزواج بأكثر من واحدة ، لا اذا كانت زوجه عاقرا أو مريضة مرضا لاسبيل الى الشفاء منه . وهو مسؤول عن بيتها وملزم بالسهر على راحتها ملزم بتسديد ديونها ، فاذا طلق فللمرأة حق الحضانة وحق النفقة ولها حق الوصاية على اولادها ولها الحق فى وظائف الدولة وفى تولى مراكز القضاء والحكم وشهادتها فى المحاكم كشهادة الرجل سواء بسواء .

أما فى الأمم المحاربة الكثيرة الحروب كما كانت الحال فى اسبرطة وخاصة فى أيامها الأخيرة فهناك تنزل المرأة من هذا المكان الذى رفعتها اليه شريعة حمرابى فى بابل او شريعة الفراعنة فى مصر وإذا هى سجينة حجاب وأمة للرجل .واما فى مدنية الرومان واليونان فان الاحوال السياسية فى الدولة كانت هى السبب الاساسى فى تعاقب الرفعة والذلة على أحوال المرأة فى تاريخ تلك الامبراطوريات الطويل .

ويتبع المؤلف هذا الفصل بفصول عن مركز المرأة فى المسيحية ثم فى العصور الوسطى وأخيرا فى الاسلام • والطريف أنه لم يحص آيات القرآن الـكريم ويبـين وجة نظر الشرع السليمة فى أحوال المرأة المسلمة • ولا تكتفى بهذا بل انه يستشهد باقوال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده كثيرا • وعندما يتحدث عن صحوة المرأة المصرية وكيف أن الزعيم قاسـم أمـين نفخ أول ما نفخ بوق تحرير المرأة المصرية لم يكن مخترعا لفكرة جديدة فى الواقع • فلقد كان على مبارك من قبله ورفاعة الطهطاوى ثم الامـام محمد عبده قد مهدوا لهذه الدعوة من قبل كل فيـما قد كتب ودعا اليه ولكن قاسم أمين قد بلور القضية وتخصص فى الدفاع عنها فاذا هى دعوة اصلاح لعلها أهم دعوة اصلاح فى تاريخ مصر الحديثة اذ ذاك •

وتختتم المؤلف كتابه بفصل هادىء رزين يرسم فيه ماقد وصلت اليه المصرية بالفعل بين الحربين وبعد الحرب الثانية مما قلدت فيه القومية احيانا أو عادت الى ماضيها الاسلامى المجيد احيانا اخرى • ولكنه لايقف عند هذا الحد وانما ينير لنا طريق المستقبل فى مصرنا الحديثة بأمل باسم قوى هـو الأمل فى أن تصل المصرية الى آن تساهم فعلا فى نهضة الوطن بان تعمل على رفع مستوى الأسرة اى رفع مستوى المجتمع فهى اقدر على هذا الجهاد من اخيها المصرى •

المرأة فى عصر الديمقراطية

للاستاذ اسماعيل مظهر (١-٢)

- ١ -

من أحسن ماقرأت باللغة العربية عن المرأة كتاب الاستاذ « اسماعيل مظهر » الذى سماه « المرأة فى عصر الديمقراطية » فهو لم ينقل فى كتابه آراء أو مقترحات عن كتب غربية فى هذا الموضوع كما يفعل الكثيرون ولم يسود الصفحات بدفاع حار لايستند الى حجج وانما هو عاطفة متاججة متحمسة • لم يفعل الاستاذ مظهر شيئا من هذا وانما آخذ قضية المرأة ليبحثها فى ضوء الواقع والحقيقة والعلم وجعل التاريخ والواقع كليهما يقولان الكلمة الفصل فى كل مشكلة من المشاكل التى تعرض لها •

لذلك يبدأ كتابه بفصل طويل قيم عن تطور مشكلة المرأة فى العـــالم الغربى • وبعد الكلام عن أحوال المرأة عامة فى العصور البدائية الأولى ، يبين لنا مركز المرأة فى كل من الحضارة اليونانية والرومانية اللتين كانتا أصل الحضارة الاوروبية • ثم يبين ماآلت اليه حال المرأة الغربية فى العصــور الوسطى من تدهور وانحطاط ثم ماأتى به عصر النهضـــة من آراء وافكار وأحوال اقتصادية حتى جاء عصر الآلة فقلب نظام الحياة كلها فى الغرب انقـــلابا عظيما فتــأثر لذلك مركــز المرأة تأثرا أقــوى وأشد • وهذا ما يعالجه الفصل الثانى حيث يتكلم عن الزراعة والصناعات المنزلية وكيف خلفتهما المصانع التى تجعل المرأة العاملة تعمل بعيدة عن البيت من جهة وبأجر من جهة أخرى • فلقد كان مجهودها فى الزراعة والصناعات المنزلية يصب كله فى البيت فلم تكن تحس انها منفصلة عن الرجل أو البيت أو الاولاد وانما هى جزء من الخلية الكبرى خلية الأسرة تحمل عبأها دون أن تفكر فى طبيعة هذا العبء أو لياقته او تمشيه مع غيره • أما عملها فى المصنع فنجد مختلف •

وكان ان دخلت المرأة الحياة العامة بشكل صارخ واضح فاشتركت مع الجماعة في العمل وفي السياسة بل في الثورات ايضا • والمؤلف يزين الفصل الثالث بهذه الكلمة المأثورة عن ارملة السيد كوندورسيه • اذ قال لها نابليون •• يا سيدتي أنا لاأحب أن تتمحك المرأة في السياسة ، فأجابت لك الحق أيها القائد ولكن أليس من الطبيعي في بلد تجتز فيه رؤوس النساء أن يكون لهن الحق في أن يسألن عن السبب في ذلك •

ويختتم المؤلف هذا الفصل وقد أوصل الغربية الى فجر هذا القرن وقد نالت جزءا من حقوق سياسية ولما تنل بعد كل شيء ونالت جزءا من حقوق مدنية واجتماعية ولما تنل بعد كل مايجب لها •

ويخص النصف الثاني من الكتاب بالكلام عن المرأة الشرقية والمصرية بنوع خاص • وفي الفصل الأول من هذا الجزء يصدر لنا حياة المرأة كما كانت آخر القرن الماضي وأول هذا القرن حياة الحريم والقصور حيث تترك لرحمة داده أو أغا يتصرف في أمر تربيتها أو خروجها ودخولها وتتخرج من مدرسة الدادة والأغا لتدخل بيت زوج تخرج فيه أطفالا من مدرسة الدادة والأغا مرة أخرى •

هذا الى حال تعدد الزوجات وكثرة الاماء وفوضى حياة الأسرة • ولعل أختها الفقيرة كانت أنعم بالا في حظيرتها من حيث أنها بحكم العوامل الاقتصادية كانت تخرج للعمل في الغيط مثلا • ولكنها كانت مثلها في أغلب الأحيان تسام العذاب ولا حق لها في الشكوى •

ولكن هل هذا هو ماكفله لها القانون من حقوق كلا فالشريعة السمحاء قد كفلت لها منذ قرون وقرون حقوقا ما زالت الى اليوم فوق مطمع السيدات المتحررات في أرقى أمم الأرض اذن ماذا أصابها ، نكسة أصابت الشرق من جراء السياسة • وفي هذا الفصل الثاني يحلل لنا في دقة وصدق وحرص على تحري وجه الحق النصوص القرآنية الشريفة التي تتصل بمقام

المسلمة كما أرادها الله أن تكون فى هذا العالم ، صنو الرجل وشريكته يحمل عنها أعباء وتحمل بدورها عنه أعباء وكلاهما شريك فى هذه الخلية المباركة من المجتمع فى الأسرة بل كلاهما فرد فى هذه الجماعة العاملة على الخير فرد فى المجتمع الانسانى . على كل منهما واجبات فى الأسرة والمجتمع تختلف ولكنها لا تتفاضل .

ثم يأخذ فى الفصول التالية من هذا القسم الثانى فى تبيان أحوال المرأة المصرية خاصة بين العوامل السياسية والاجتماعية المتدهورة وبين هذا الاشراق الواضح على ما يجب أن تكون عليه بما ضمنه لها نصوص القرآن من حقوق أى حقوق .

ولعل أحسن ما فى الكتاب هو تطلع الكاتب منذ أعوام الى أحوال نعانيها الآن بأوضح مما كنا نفكر يوم ألف وهو الانقلاب الصناعى الذى نحن على أبوابه اليوم . فهو ينصح بترسم الخطى وبناء السياسة التى يجب أن نسير عليها قبل أن يحدث هذا الانقلاب آثاره السيئة التى عانى منها الغرب لأنه لم يستعد لكل احتمالاته . فهو ينصح مثلا باقامة الصناعات المنزلية على صرح أقوى وأعم لتقف الى جانب صناعات الغزل أى القطن والصلب على قدم المساواة يقول يجب أن نعمل على ترويج الصناعات الزراعية الحقيقية لأن مصر مهما تصنعت فان لها مركزا ممتازا فى الزراعة يجب ألا تتخلى عنه فمصر باعتراف الجميع يمكن أن تكون محطة عالمية للصناعات الزراعية الخفيفة وهذهالصناعات مجال أى مجال للمرأة العاملة . ذلك أنه اذا خرجت يد المرأة من ميدان العمل الفلاحى واستغلها المصنع الكبير وأغراها بالأجر الطيب الذى يصلها بانتظام ... وخلت المزارع من تلك الأيدى الماهرة فاننا ولا شك نعرف النتيجة .

وهكذا يمتاز هذا الكتاب بأنه يستشرف المستقبل على ضوء الحاضر ويود لو نبحث من مشاكل المرأة الأهم قبل الهام فمشكلة المرأة العاملة مثلا قبل مشكلة المرأة الناخبة .

المرأة فى عصر الديمقراطية

للاستاذ اسماعيل مظهر (١-٢)

-٢-



ان الكتب العربيـة التى تتعرض للكتابـة عن شـئون المرأة ومشاكلها وحقوقها ومطالبها قليلة قلة واضحة • وهذا كتاب من تلك الـكتب القليلة يتناول قضية المرأة تناولا سهلا شيقا ويعرض حالها على مر التاريخ عرضا عابرا سريعا ولكنه يقف دائما أبدا عندما يجب أن نقف عنده •

ففى القسم الأول من الكتاب يعرض تطـــور مشكلة المـرأة فى العالم الغربى • فيبدأ ببيان دورها منذ الجماعات البدائية الأولى • والعجيب أننا نجد التاريخ يقول ان المرأة كانت تقوم بأعباء الأعمال الشاقة بينما الرجل لم يكن يقوم بمثلها • ففى رحلة هذه الجماعات البدائيـة الدائمة من مكان كانت المرأة هى التى تحمل الأولاد والمتاع وكان الرجل يسـير وآلة الصيد فى يده ولا أكثر من ذلك استعدادا لدرء الخطر أو تربصا لصيد سـمين • والمرأة هى التى تسـير بهذا العبء المسافات الشاسعة •

والمرأة هى التى فلحت الأرض أول مرة وهى التى كانت تقـوم على مدى تقدم الزمن بكل أعباء الحياة اليومية • وهى التى كانت ترعى الصـــغار بطبيعة الحال وهى التى كانت تبنى للمستقبل • أما الرجل فكان دائما أبدا لا يعمل الا لحاضره •

ثم تقدمت الانسانية ونشأت المدنيـــات فاذا المرأة فى المدنية المصرية القديمة تصل الى أن تكون ملكة ولا نكاد نعرف شـيئا عن مقامها فيما عدا ذلك فى المجتمع المصرى القديم • بينما هى فى المدنيات اليونانية والرومانية لم تصل الى أكثر من أن تكون أداة أو ملهاة •

وقد تقوم بدور عام ولكن من خلف ستار . والعجيب كما يقــول المؤلف أننا ورثنا النظم الديمقراطية عن هاتين المدنيتين بينما نظـام الفراعنـــة المستبد قد أباح للمرأة مركز الملك .

وفى العصور الوسطى انحدرت أحوال المرأة فى أوروبا انحدارا شديدا حتى أن فجر النهضة سجل لها أحوالا تكاد تكون عبودية مؤلمـــة . وإذا دعاة النهضة الحديثة لا يطالبون لها بحق فى شىء من كثرة ماكانت غارقة فيه من مظاهر الذل وأحوال الاستبداد. ولكنها قليلاً قليلا تفيق الى حقوقها

وفى الكتاب هنـــا فقــرات طريفة كم أحب لك سيدتى أن تقفى عندها لتقدرى حقوق المرأة فى الاسلام . ففى انجلترا مثــلا كان منذ قرن واحد فقط من حق الرجل أن يترك زوجه وأولاده بلا شىء يقيم أودهم ثم يعـــود ليأخذ كل ما تملك ، ان كانت قد ملكت شـــيئا فى غيابه ، ليبدده دون أن يسأله أحد حسابا ، ثم يهجرها من جديد وهـــكذا . فلا نفقة يكفلهـــا القانون للزوج ولا للأولاد ، ولا ملكية للمرأة أيا كانت بل هى وما تمتلك أمام القانون ملك خالص لزوجها . بل ان المرأة لم تنل الحق فى أن تملك شيئا خاصا بها الا سنة ١٨٧٠ ، ولم تنل الحق فى حضـــانة أولادها الا فى سنة ١٨٨٦ ولم تنل حق الارث الا بعد ذلك . وهكذا ... فكل هذه الحقوق التى وصلت اليها المرأة الغربية حديثة جدا بالنسبة الى الحقوق الثابتة التى أعطاها اياها الاسلام منذ ألف وأربعمائة عام تقريبا .

أما فى القسم الثانى من الكتاب فالمؤلف يتعرض الى حال المرأة الشرقية ويعرض حقوقها وما يجب لها ويعرض الى أحوالها وأحوال التفكير السقيم فى قضيتها . وهو فى تحليله مثــلاً للقعد النفسية التى ترثهـا المرأة اذا ما ربيت داخل الحريم مبدع حقا . يصور آثار الكبت والشك فى مخلوق حساس ثم يصور آثار كل هذا فى الحياة الزوجية وفى تربية الأبناء

وهو دائما يمســـك فى بساطة بخيوط الموضوع من كل ناحية ، فالى جانب أحوال المبيت أحوال المجتمع والأحوال الاقتصادية والسياسية التى تجعل الناس يعيشون على نحو بعينه دون آخر .

ثم يعرض الى حقوق المرأة السياسية مفندا حجج المخالفين فى منطق سهل مؤيدا وجهة نظره فى أن المــرأة ولدت حرة ويجب أن تعيش حرة مستمتعة بكل حقوق الرجل الحر بكل ما يمكن أن يؤيد به من حجج . ثم يذكــر الآيات القرآنية الشريفة التى تحدثت عن المرأة وشرعت لها أسلوب حياتها الاجتماعية ويفسرها تفسيرا عمليا واسع الأفق عميق الفهم . وأخيرا يخرج من كل هذا بأن المرأة الشرقية أجدر بأن تنال كل حقوقها لأنها قد مارست أكثر الحقوق الطبيعية للمرأة منذ مئات السنين . كل مافى الأمر يظــل حقها السياسى معطلا لغــير ما سبب جوهرى أو غير جوهرى .

وهكذا يختم المؤلف بحثه الحر فى تأييد حقوق المرأة السياسية بعد أن يكون قد أمدنا بمعلومات كثيرة وافية مفيدة عن أحوال المرأة قديما وحديثا فى الشرق والغرب .

المرأة الحديثة

كنت اقرأ فى كتاب طريف عن « المرأة اليوم » فاستوقفنى فيه خطاب أرسلته احدى المتحمسات للحركة النسوية الحديثة للمؤلف تبدى فيـه وجهة نظر النساء وقد تحررن من كل القيود ، تقول المراسلة : « انى من المتحمسات لجنسى ولكنى اتحمس له بأسلوب جديد وأدعو له دعوة جديدة دعوة لا تريد للمرأة أن تعود أدراجها فتكبت حرياتها وتحرم حقوقها ولكنها دعوة تريد من المرأة برغم كل الحقوق والمسـاواة ان تظل امرأة . فلقد اتضح لنا نحن نساء نصف القرن العشرين بعد جهاد نصف قرن أو يزيد اننا لا نريد أن تسلك فى الحيـاة سلوك الرجال . ذلك أننـا مغتبطـات بأنانيتنا ، ولكن هـذا فى حد نفسـه يبـدو عجيبـا بالنسبة للحيـاة الاجتماعية والاقتصادية فى هذه الايام ذلك أننا اذا كنا حقا نساء فاننا الى حدما نحب الثناء ونحلم دائما أبدا بالبيت الذى نربى فيه أبنـاءنا بيت نطهى فيه ونغسل ونكوى وهذا بالنسبة للمرأة الحديثـة يبـدو شبه مستحيل لذلك نشعر اننا لسنا أقل تعاسة من جداتنا اللاتى كن سجينات البيوت محرومات من كل حق يتحرقن الى أن يكن كالرجال وأن يتشبهن بهم . »

ولقد حرص المؤلف ان يردف هذا الخطاب بخطابات أخرى كلها ترمى الى تصوير هـذه النزعة فى المرأة الغربية بعد أن نالت فى أكثر البلاد حقوقها ، نزعة تريد للمرأة التى أنكرت كثيرا من أنوثتهـا فى سبيل الدفاع عن حقوقها وقد استبان لها بعد النصر ان هذا الانكار لا يمـكن أن تستمر فيه .

استوقفني هذا الخطاب بالذات لأنه يصور لى ظاهرة قوية فى مجتمعنا المصرى ، فلقد ظننا أن تشبث بعض نسائنا بانوثتهن تأخر وضعف وأن القوة كل القوة وان التقدم كل التقدم هو فى الثورة على الاوضاع التى تجعل المرأة تؤدى وظيفتها الأولى فى الحياة وهى الامومة . ان مجتمعنا المصرى فى هذه الناحية بالذات كان . أقوى من أن تعصف به موجات غريبة عنه . ذلك أن المرأة المصرية قد آمنت من زمن بعيد بالحرية ولقد أخذت فى مبـــدأ الحركة النسوية تتنسم نسيم الغرب تطالبت بحقوق وسعت ونجحت بعض الشيء ولـكنها كانت دائمـا أبدا تحس ان شيئا فى بنات وطنها يجذبها نحو التريث ويجـــذبها نحو الاعتـــدال . ان العلم حق لذلك سعت اليه المصرية فى خطى ثابتة ونالت حقهـــا فيـه كاملا وان السفور حق لذلك نزعت المرأة حجابها الذى يمنعهـــا من أن تباشر عملها فى المجتمع ولم يستدع ذلك منها جهادا ولا شبه جهاد هى خطوة جريئة أقدمت عليها مرة ثم سرت العدوى وانتقلت الفكرة السليمة منسابة الى كل بيت والى كل سيدة . ولكن لما وقفت المرأة المصرية تطالب بحقوق سياسلة ترددت خطواتها لأن المجموع كله لم يتحمس للفـكرة لا لأن المرأة المصرية لا تريد حقهـا كاملا ولـكن لأنها فى قرارة نفســها اقتنعت أن هذا الحق ليس مكملا لكيانها ولا هو اساس فى اداء مهمتها فى الحياة . وسارت الدعوة الى الحق لسياسى تتعثر فيما لم تتعثر فيه خطى الدعوة الى التعليم وحق العمل وحق السفور .

ذلك ان المصرية بفطرتهـــا السليمة أدركت انها لا يمـــكن ان تكون كالرجل عالما لأن ذلك انحراف فى الطبيعة والطبيعة لا تقر الانحرافات وكما أن الرجل لا يمكن أن يكون امرأة فكذلك المرأة لا يمـكن أن تكون رجلا . فلماذا التشبه ما دام المتشبه به ليس هو المثل الصحيح .

ان الله قد خلق المرأة مختلفة عن الرجل وفى هذا الاختلاف سر تفوق الجنســين بل سر دوامهمـــا . ولو أن الله اراد أن يخلق رجالا أقوياء ليسموا رجالا ورجالا ضعافا ليسموا نساء لما أوجد فى جسم المرأة وكيانها

وأعصابها وغددها كل هـذه الفروق التى يتجـلى عنها البحث كل يوم فيظهر لنا العجب الذى لم نكن نتوقعه ٠

لقد خلق الله المرأة لغاية وخلق الرجل لغاية وكل منهما يعمل نحو هذه الغاية فاذا انحرف واحد منهما ليعمل عمل الآخر انحرفت غايات الحياة الاجتماعية وشالت موازينها ولكن الطبيعة تظل صامدة قوية لا تعترف بهذا الانحراف ٠ كل ما فى الامر هو اختلاف الآراء حرك الحد الفاصل بين ميدانى العمل ٠ فالرجل يعمل والمرأة يجب أن تعمل فى البيت وفى خارج البيت ولكن على أن تعمل المرأة وهى امرأة لا تدعى لنفسها صفات الرجل ولا تتقمص شخصيته فتضيع شخصيتها ٠

ان مهمة المرأة الاولى هى الامومة ومهمة الرجـل الاولى هى معـــاونة المرأة على أداء هذه المهمة وتعهد الجيل الجديد بأن يهيأ له وطنـا جديدا ومجتمعا صالحا ٠ ولو أدركت المرأة هذه الحقيقة وفهمت كنهها ما تنازلت عن أنوثتها لأى سبب ولا فى أية معركة ٠

لقد مضى الزمن الذى كانت تقول فيه المرأة للرجل أنا لا أقل عنـــك ذكاء والانسانية محتاجة الى ذكاءينا معـــا ٠ لقد مضى الزمن الذى تقـول فيه المرأة للرجل أنا لا أقل عنك قيمة أو خطرا وأنا أستطيع أن أضطلع بكل ما يمـكن أن تضطلع به من أعمال فأؤديها مثلك أو أحسن منك وأتى الزمن الذى تقول فيه المرأة أنا أستطيع أن أضطلع بالأعمال التى هيأتنى لها الطبيعة فقد استطيع مالا تستطيع وقد أستطيع ما تستطيع على نحو آخر لا يقل فائدة للمجتمع وقد لا أستطيع ما تستطيع ٠

لقد وصلت الغربية اليوم فى جهادها الذى زعمته لتستخلص حقهـــا من الرجال الى تلك المرحلة مرحلة احساسها بالحقيقة الكبرى التى ضاعت عنها فى زحمة الجهاد وحماس المنافسة وتوثر شهوة الغلبة والانتصار لقد وصلت الغربية نفسها الى هذه الحقيقة الاولية التى لا يمكن أن نغفل

عنهـا وهى أن الرجل والمرأة يختلفان وأن قوة الحيــاة وسرها فى هـذا الاختلاف • لقد أصبحت المنافسات حول أى الجنســين أفضل وأيهما أنفع وايهما لست أدرى ماذا مثل المناقشات التى لاتنتهى والتى تعنون دائما للسخرية منها باسم أيهما أسبق فى الوجود البيضة أم الفرخة •

لذلك أرجو أن تتدبر المصرية موقفها فى ضوء ماوصلت اليه اختهـا الغربية من تجارب والا تنكر انوثتها وألا تنسى الحقـائق الـكبرى فى زحمة الجهاد وحماس المنافسة • ذلك أن الجهاد مزعوم والمنافسة مدعاة • لأن الحياة نفسها تنكر ذلك فأشد خصوم الرجال كانت تحب زوجها وأخاها وأباها وابنها وأشد خصوم المرأة كان يحب زوجته وأبنته ويحب أمه وأخته • ومادام الجنسان يعيشان فى وئام فى الحياة فكيف يتنــازعان منازعة جدية أو يتنافسان منافسة ذات خطر اللهم الا أن تكون الظروف قـد صرفت الحقائق وأعمت العيون لانحراف فى ميزان المجتمع وخلل فى القيم الانسانية الكبرى •

الإسلام بين أمسه وغده

للدكتور محمود قاسم

أكثر التاليف عن الاسلام* فى هذه السنوات العشر القريبة كثرة تلفت النظر . فلقد حمل البريد الينا منذ شهر مثلا اكثر من ثلاثين كتابا ألفها اخواننا الباكستانيون عن الاسلام ومسائله المختلفة باللغة الانجليزية . منها ماهو قديم يعاد نشره واكثرها جديد وكذلك لايفتأ البريد يحمل الينا من الغرب ومن القارة الامريكية بالذات تآليف مختلفة عن الاسلام تصور أكثر ماتصور اهتمام القوم لسبب او لآخر بمعرفة دقائق الدين الحنيف .

وكل هذا ان دل على شيء فانما يدل على ان المسلمين من جهة والغربيين من جهة أخرى يحسون تباشير الصحوة القومية التى تتجلى فى العالم الاسلامى فى شتى اقطاره . فلقد اخذت أكثر هذه الاقطار تحاول ان تتحرر من الناحية السياسية بشتى الوسائل وفى الوقت نفسه قد أخذت تصلح من أمورها الداخلية اصلاحات شاملة بارزة للعيان والأهم من هذا وذاك ان هذه الاقطار جميعا قد أخذت تفهم معنى حديثا عمليا للأخوة الاسلامية بينها فليس ما يصيب المسلمين فى شمال افريقيا بعيدا لايعنى المسلمين فى الهند او فى ايران بله فى مصر والشرق الاوسط وانما كل اعتداء على المسلمين أينما كانوا يعد اعتداء على اخوان لنا ان لم نستطع أن ندرأه عنهم فلا أقل من أن نحس بهذا الواجب ونحاول آن نقوم به .

وكتابنا اليوم صدى لهذا الاحساس القومى الجديد الذى بعث فى نفوس المسلمين يريد به المؤلف الدكتور محمود قاسم ان يرسم لنا صورة المسلمين بالامس وصورتهم غدآ ان شاء الله لنرى الفرق بين عهدين ولنعرف الى اين نسير وماذا كان يعوق هذا السير بل لايزال يعوقه الى الآن .

والمؤلف يعنى بالأمس الأمس القريب وخاصة القرن الماضى وجزءا ليس يسيرا من هذا القرن وهو يعني بالغد بما يبدأ بحاضرنا وينتهى فى الغد القريب بل القريب جدا ان شاء الله ٠

والواضح ان المؤلف لم يرد بالاسلام الدين نفسه وانما اراد به الدين كما يحيا فى نفوس المسلمين وما يعكس على حياتهم من ألوان وحالات ٠ وهو يدرس الواقع الذى كان الى عهد قريب فى دقة وامعان وهو فى الوقت نفسه ثائر العواطف من غيرته القوية على اخوانه فى الدين وحبه لهم ٠ لذلك نراه عنيفا غاية العنف فى تشخيص الداء وارجاع أسبابه ثم الانحاء باللائمة على من كانوا سندا لهذه الاسباب أو عاملين عليها ٠

والكتاب مقسم الى ثلاثة فصول يصف فى الاول فيها تدهور المسلمين ومظاهره الشتى ويصف فى الثانى اسباب هذا التدهور ويعرض فى الفصل الأخير الى طرق الاصلاح ٠ ولقد كنا نأمل ان يشرق الرأى الاخير بأمل قوى يضىء بنوره جوانب الحال يخفف السخط الشديد الذى عم جزئى الكتاب ولكن هذا الامل على قوته واشراقه مازال يرن بين جنبيه صوت المؤلف وهو يتحنى باللائمة على من كانوا سببا ، فيما وصل اليه المسلمون من ضعف ٠ وهذا ما يبرر قولنا أن المؤلف قدجرفه تيار عنيف من الغيرة والحمية بحيث لم يكتف بشىء من تباشير الفجر الجديد وانما هو طامع شديد الطمع وتعاليم الاسلام نفسها تمد له من أسباب هذا الطمع العريض فاذا هو لايرى هذا الفجر الجديد فى قوته الحقيقية وانما يراه مجرد بشير وهو يعتقد صادقا ولكن فى عنف شديد ان الطريق مايزال إمامنا شاقا عسيرا لم يقطع فيه الا الأقل ٠

واجمل مافى الكتاب ان روح المؤلف الثائر يعدل عدلا قويا عندما يحمل المسلمين أنفسهم الوزر كل الوزر فيما آل اليه أمرهم ٠ ان الدين السمح البسيط الذى غزا العالم المتمدن كله منذ قرون فى سرعة خاطفة حيرت المؤرخين أنفسهم لايمكن الا ان يكون من نفسه باعث قوة وحافز عزة ومرشد

استقامة وفلاح فما بال الذين يحملون لواءه والذين يؤمنون به جميعـــا يخونون امانته ويجعلونه امام سائر الدنيا فى هذا العصر الحديث يدل على غير ما تدل عليه حقيقته ٠

والمؤلف منذ اول الفصل الاول عندما يصف حال المسلمين لايكاد يتحدث عن الاستعمار وما قد نفث من سمومه بين الأقطار المسالمة الا ليستدرك بجزء كبير يليه للكلام عن حال المسلمين أنفسهم ٠ انهم هم بيت الداء وهم وحدهم المسئولون عما قد أصابهم ٠ ان الاستعمار نفسه ماكان يمكن ان يخرج من بلاده ميمما الشرق الا بعد آن عرف من أحواله الداخلية مايشجع بل مايؤكد ان الثمن لن يكون فادحا وان الغنيمة تكاد تنادى الامن يتفضـــل بأخذى ٠

وأهم أسباب هذا الضعف الذى منى به المسلمون فى نظر المؤلف هـــو جهلهم بأمور الدين والمسؤول الاول والاكبر فى هذا الجهل هم أولو الامر من ناحية وعلماء الدين من ناحية أخرى ٠ وتتوزع قسوة المؤلف على هاتين الطبقتـــين توزيعا يختلف عدلا وجورا ٠ فأولوا الأمر السلاطين والحكام كان يمكن بفضل مراكزهم الا يكونوا كما كانوا وعلماء الدين مقصرون ايمـــا تقصير فى سكوتهم على الحال بل فى تشجيعهم الملوك والرعية على السواء على الجهل بالدين بل وهو ماينحى عليهم فيه باللائمة القومية أنهم يقترفون الاثم الاكبر مما روجوا بين الرعية من أباطيل حـــول الاســـلام تخـــدم الحاكم المستبد والاستبداد اعدى اعداء الاسلام وتخدم المستعمر المعتدى والاعتداء ايضا من اعدى اعداء الاسلام ٠ وهو يختم هذا الفصل القوى بالرد على الغربيين الذى نسبوا فى جهل وتجن تأخر احوال المسلمين الى مبادىء دينهم وهو لايفند هذا القول من حقائق الاسلام وحده وانما يأخذ الاديان جميعا ويتحدث تحدث الواثق العليم عن علاقة الحضـــــارات بالاديان الحضارات القديمة مثلا بالنصرانية ليبرز الحقيقة التى لا يمارى فيها انسان وهى إن الاسلام باعث حضارة وسبب رقى ومشعل نور للانسانية كما يدل

عليه تاريخه وان تحريف الاديان وخيانة رجال الدين لتعاليم الدين كل هذا وامثاله ظواهر لم يبرأ منها دين وهى فى الدين الاسلامى ابرز واوضح لأنه دين لا يعترف بواسطة مهما تكن بين العبد وخالقه ويقصر مهمة رجال الدين على العلم الحقيقى به والعمل على نشره ولم يكن الاسلام فى أصله الا ابسط الأديان وأشدها قربا من النفوس السمحة الانسانية ٠

وفى آخر الفصل الثانى عندما يحدثنا عن جهل رجال الدين بالدين بما هو اصلا ليس من طبيعته محملين اياة ماهو منه براء ٠٠ وهو يأخذ موضوع الطلاق مثلا ويحيلنا على بعض كتب الفقة مثلا التى تبحث فى صفحات وصفحات مسائل ماكان أغناها عن ذكرها أصلا فى صدد الحكم فى احوال مختلفة اهمها آن يقول رجل لزوجه انت طالق اذا ولدت انثى ثم تلد الزوج توأمين انثى وذكرا او يقول لها انت طالق نصفك او ثلثك أو ما مشابه ذلك من سفه القول ٠ فيقول المؤلف هكذا شغل الفقهاء أنفسهم بأقوال مستحيلة ونظريات ممكنة عقلا لأن الممكن عقلا لاحد له ولكنها لا تحدث عادة وهو يقول وبدل ان يلام مثل هذا الزوج على سخفه او ينهى عن مثل هذه الأقوال ويعلم أدب القول وما يمليه الدين الاسلامى على صاحبه من العقل والادب يشغل الفقهاء انفسهم للتشريع لمثل هذا السفيه المستحق العقاب لا التشريع له ٠

وروح القرآن الكريم فى موضوع الطلاق واضح جلى واهم مافيه انه لا يستهين بهذا الأمر أبدا وانما يراه أمرا خطيرا يتريث فيه ويحشد له الأحكام ويسعى فى سبيل منعه فاذا كان لابد منه فما أكثر مايوصى به الدين من اكرام المرأة المطلقة ورعاية حقوقها وحقوق أولادها ٠ أمثل هذا الدين يحمله العلماء فى هذا الموضوع بالذات مثل هذه الاقوال التى لاتدل الا على سفه وسوء تقدير ولكنها تدل فى الوقت نفسه على ان الحياة الزوجية التى شرع لها الاسلام مالم يشرع لها دين آخر لصيانتها وحفظ كيانها ، ان هى الا تسلية وتلهية ٠

وانتشار السخف حول الدين جريمة أخرى يحمل المؤلف علماء الدين وزرها . هذا الاعتقاد فى القضاء والقدر الذى يملى التواكل والكسل والاستسلام ليس من الاسلام فى شىء وانما إيمان المسلم بالقضاء والقدر ايمان قوى ولكنه يحض على القوة ويملى على الانسان ان يعمل ويكد ويسعى بل وهذا صميم روح الاسلام ان يجاهد فى سبيل الله .

ثم هذا الايمان بالأولياء والمتصوفين وزيارة قبورهم لرفع قوائم الطلبات من السماء حتى ولو كانت هذه الطلبات مما ينهى عنه الشرع الحنيف كل هذا كان يجب ان يحرك العلماء علماء الدين ليعلنوا للقوم ويعلموهم أن الله يحب المسلمين جميعا وهو سميع مجيب إنه أقرب الى الانسان من حبل الوريد ، لايحتاج الى واسطة وانه اوصى بالعمل كوسيلة اولى بل الاساسية لتحقيق الرغبات ونيل الآمال .

وكذلك الفصل بين العقيدة والعمل الدنيوى والعزوف عن الحياة الدنيا تعبداً كما فعل بعض الناس ممن ظن المسلمون لجهلهم فيهم الولاية ويردوا القصص عن معجزاتهم كل هذا ليس من الاسلام فى شىء ذلك ان الاسلام قد ربط ، كما لم يربط دين من قبل بين العمل والعقيدة ، رباطا وثيقا لا يمكن أن يفصل بينهما .

واما وسائل الاصلاح فهى عند المؤلف صلاح حال الولاة وعلماء الدين ولكنهما أولا وقبل كل شىء العلم ثم العلم .. وهو لا يكتفى بالعلم العملى وحده وانما العلم بكل ما يشمل من معرفة وفنون .

وأحسن مافى الكتاب كثرة استشهاد المؤلف بنصوص القرآن ليدل على صحة أقواله . وكثيرا مايستشهد بأقوال الامام الشيخ محمد عبده وبأقوال المصلح الكبير الذى سبق أن ألف فيه كتابا جمال الدين الأفغانى .

وان كان لى أن أقترح فانى أقترح على المؤلف أن ينشر للقراء المحدثين بعض هـــذه الكتب العظيمـة لدعـاة الاصـــلاح الاسلامى مع دراسة لها أو تبسيط ليفيد منها النشء الـــذى نبنى عليه الآمال . كـكتاب طبائـع الاســـتبداد للـكواكبى ، أو كتـاب أم القـــرى حتى يعـرف الجيـــل الجديد هؤلاء المصلحين جميعا ويسمع صوت دعوتهم من جـــديد فلعـل يقظتهم تكون أقوى اذا ما عرف أن النفير كان ومازال فيه دعاة مخلصـــون وأن القليل الذى أثمرت به دعوة المخلصـــين السابقين بشـــير بالكثير الذى سيقوم على أكتافهم فى المستقبل القريب .

في الأدب المعاصر

للدكتور عبد القادر القط

لا ينكر أحد أن أدب الامة من أهم مقومات شخصيتها وكذلك لا ينكر أحد أن دراسة هذا الأدب يجب أن تكون جزءا هاما جدا من ثقافة كل فرد في الأمة فاذا قصرت أمة في ذلك فليس معنى هذا كما يتراءى للبعض أنها أفاقت لما يجب أن يكون فأخذت تهتم بالعلوم والدراسات العملية وطرحت درس الادب جانبا لأنه لا يفيد . وانما معنى هذا في الواقع أن الامة قد انحرفت بعوامل معينة نحو هذا الاتجاه الخاطيء وانها ان لم تتبين هذا الانحراف بسرعة قادها التمادي فيه الى شر النتائج . لذلك لا تجد أمة من الأمم الناهضة لا تفرض دراسة آدابها على أبناء الامة جميعا دراسة واسعة حتى في مرحلة التعليم العالي . وكثير جدا من الاجازات العملية المحضة يشترط في المتقدم لها أن يكون حاصلا على اجازة في دراسة الادب القومي .

ذلك أن العلوم والدراسات العملية تفيدنا في ناحية من الحياة أما الأدب والفنون عامة فتفيدنا في الناحية الاخرى لعلها هي الأهم لأنها هي حياتنا الروحية التي بها نستمتع بالحياة ان حسنت ظروفنا أو نحتمل صعابها واثقين من النصر ان حاربتنا الظروف .

والامم لا تعرف للامم الاخرى بحروبها وانتصاراتها بقدر ما تعرف بآدابها . ولذلك تحرص الامم التي تريد أن تنشر نفوذها في العالم أن تنشر آدابها وفنونها قبل أن تنتظر أي نصر في عالم السياسة .

ولقد كنا نكثر الحديث الحي في أدبنا المصري أيام كانت لنا مجلات أدبية يلتقي الادباء على صفحاتها فاذا هم يتساجلون في أصول أو على

غير أصـــول ولـكنها مسـاجلات على كل حـــال كانت تبعث التفـكير فيمـــا قد ألف مؤلفونا وكانت المناقشـــات العنيفة والخصومات أحيـانا تعود الى كثير من التأليف وتصقل مواهب الشبان الناشئين فى الميدان • ولكن خفت صوت الأدب باحتجاب أهم مجلاته فى مصر واذا ميدان الأدب حتى فى الصحف السيارة ينكمش واذا انتاجنا الأدبى بالتالى يسير بطيئا ومتشعبا لا يكاد يتميز بسمات واضحة فى أغلب الأحيان •

لذلك أصبحنا نتلقى أى تأليف جديد فى الميدان لنرى فيه ما نشتاق الى رؤياه ، أدبنـــا القومى المعـاصر يعرض للدرس فاذا كان هـــذا الدرس دقيقا فاحصا يريد صاحبه فعلا أن يصل الى نتائج مجردة الا من التحقيق العلمى فان ذلك يدعونا ولا شك الى أن ننوه بهذا المؤلف ، وكتاب الدكتور عبد القادر القط فى أدبنا المصرى المعاصر من هذا النوع الذى أراد به المؤلف أن يدرس دراسة دقيقة ناحية من نواحى الادب المعاصر يرى فيها المؤلف رأيا ويدافع عنه •

والكتاب يدرس موضوعات ثلاثة السلبية فى القصة المصرية والمسرح الذهنى كما يســميه المؤلف عند توفيق الحكيم ، والأدب بين الغـــاية والفن والمؤلف حريص على ابراز الظاهرة حريص على الحـــكم عليهـــا وتتبعها فى الأثر الأدبى الذى يدرس وهو لذلك لا يكاد يهتـم بالمؤلف الا اذا كان له قول معين فى تحليل ماقد كتب كما فعـــــل توفيق الحكيم مثلا ، وفيما عدا ذلك نرى المؤلف كثيرا ما يهمل ذكر صاحب الأثر الذى ينقد لأنه مهتم بالظاهرة ومعالمها أكثر من اهتمامه بمن انشأها •

والجزء الخاص بالسلبية فى القصة المصرية طريف حقـا • لأنه يأتينا بثلاث قصص ويبين لنا فى وضوح كيف ان البطل أو البطلة فى كل منها شخصية سلبية الى أبعد حد • يلقى البطـــل الاهوال فاذا هو واقف أمامهـــا فى اســـتسلام يتلقى ضربات القـــدر ولا مقاومة يؤمر فيطيع دون وعى احيانا لما سينفذ من أمر • والنتيجة فى آخر الامر

ان القصة تفقد الكثير جدا من حيويتها ازاء هذا الاستسلام المسترخى . والمؤلف يرجع هذا الى روح العصر روح المصريين الى عهد قريب قبيل الثورة حينما كانوا لكثرة ما رأوا من ظلم يكادون يؤمنون أن الاستسلام هو الحل الأخير . وعكس الأدب وأدب القصة أكثر وثوقا بروح الجماعة وأقرب منالا من عامة القارئين فكان هو الذى صور أكثر ما صور هذا الروح السلبى المتلقى لضربات القدر فى استسلام . والمؤلف فيما يلوح يحب الصراع ويجد لحبه للصراع متنفسا صحيحا هنا فى مثل هذه الدراسة فان البطل الذى يصارع القدر سواء انتصر أم لم ينتصر بطل حتى من الناحية القصصية الفنية أكثر ملائمة لفن القصة وهو بالتالى أولى بأن يؤثر فى نفوس الناس وخاصة فى نفوس المصريين وقد آمنوا ان المقاومة لا بد منها وان حياة الانسان لا يمكن أن تسمى حياة اذا لم تقاوم فيها عوامل اليأس والفناء كل يوم حتى تنتصر أو تموت .

وأما الجزء الثانى من كتاب الدكتور القط حيث ينقد المسرح الذهنى عند توفيق الحكيم فانه أضعف ما فى الكتاب من اجزاء . ذلك أن المؤلف حسب ان توفيق الحكيم يأتى فى هذا اللون من المسرح بشىء جديد عده مسئولا عنه وأخذ يحاسبه ولم يكن الحكيم باعترافه الا مقلدا فى هذا النوع من المسرح صنوه من المسرح الغربى . ان مسرحية الفكرة أى المسرحية التى لا يقصد بها أن تمثل على مسرح واقعى وانما اشخاصها يمثلون أفكارا تتقابل وتتصارع نوع قد عرف عند الغرب منذالقرنالماضى ولقد قام أول ما قام لا على أساس مسرحيات وانما قام على أساس محاورات من نوع محاورات أفلاطون أخذ يؤلفها المؤلفون الجدد فى اطار أشد حيوية من حيث الشخصيات عنها فى محاورات أفلاطون فاذا الحوادث والشخصيات تضاف الى جمال الحوار وبراعته وهو اداة أفلاطون الاولى وتظهر محاورات حديثة أقرب ما تكون الى المسرح ثم أخذ هذا النوع ينمو ويتطور حتى أصبحت المسرحية بلا مسرح كما تسمى أحيانا . وكان حريا بالمؤلف أن يقرأ كثيراً عن أصول هذا الفن وعن تطوراته قبل أن يهجم على

آثار توفيق الحكيم ليبين كيف طغت الفكرة مثلا على الشخصية فاعدمتها الحياة • فالفكرة هي الأصل والشخصية هي الثوب المسرحي الذى تلبسه لا أكثر وليس الثوب مفصلا أو دقيقا وانما هو ثوب فضفاض لا يكاد يترك أى مجال للنقد لأنه ليس هاما بأى حال من الأحوال • ففكرة الزمن مثلا وهي تتصارع مع الحب فى أهل الكهف وفكرة الواقع وهي تتصارع مع الفن فى بيجماليون لا يقصد فيهما بهذا الصراع صراعا كالذى نراه بين شخصيات المسرحية العادية فاذا مقاومة واذا هزيمة أو انتصار وانما الصراع فى مثل هذه المسرحيات مقصود به صراع النفس البشرية فى الايمان بهذه وبتلك من الافكار • لذلك تكون موضوعات مثل هذه المسرحيات موضوعات يحوطها الشك وهي فعلا مما يصطرع فى نفس الانسان دون أن يدرى • فلا محل أصلا لانتقادات المؤلف للحوادث بأنها مصادفات غير طبيعية لانها حوادث أفكار لا حوادث أشخاص حوادث من خيال المفكر لا تحدث فى الواقع أصلا وانما يصورها المؤلف على أنها واقع يبرز الفكرة • كل شيء فى هذه المسرحية خادم للفكرة بمعنى الكلمة وكله تمكين من أن يسبق بالقول هب كذا وكذا وكذا مما هو افتعال محض قد قصد فماذا تكون الفكرة فى هذا الضوء الجديد • حتى إعتراض المؤلف على بعض جمل تأتى على لسان الشخصيات ماكان يمكن أن يقولوها فى الزمان الذى يصوّرون فيه أيضا لا محل له فالممكنات فى الفكرة أوسع دائرة بل لعل المستحيلات لا وجود لها •

وكان حريا بالمؤلف لو أنه قرأ أمثال هذه المسرحيات فى الأدب الغربى والنقد الذى يكتب حولها ان يقول لنا شيئا أقرب الى لباب النقد من قوله مثلا أن مثل هذا النوع « يجنى على الطاقة » الفكرية للمؤلف من ناحية ويصيب القارىء بحيرة شديدة من ناحية أخرى •• » ان مثل هذا المسرح لا يكتب للقارىء العادى بحال من الاحوال •

وليس توفيق الحكيم الذى ألف مذكرات نائب فى الارياف بالمؤلف فى البرج العاجى كما يحلو لبعض النقاد أن يصفوه فان توفيق الحكيم متعدد

النواحى فيما قد ألف ولست اراه الا واقعيا يصف ما يرى وما يحس وإن أحس احيانا بغير مايحس به سائر الناس أو ليس الاديب غير سائر الناس على كل حال ٠

أما الجزء الاخير من كتاب الدكتور القط فهو فى غاية القوة من الناحية النقدية ٠ ذلك انه أخذ قصة أنا الشعب ومسرحية غروب الاندلس وقصة السماء السوداء وديوان أغانى افريقيا وعالجها جميعا من ناحية واحـدة ٠ من ناحية الغاية التى يضعها المؤلف فى كل منهـا أمام عينيه وكيف جفت الغاية المرسومة على حيوية القصص أو عدم وجود هذه الغاية وجنايته أيضا وقد وفق ايما توفيق فى ابراز الافتعـال الذى يصيب هـذا النوع من التأليف الذى يهدف الى غاية معينة ، دون أن يكون عنده المـادة الفنيـة الكافية أحيانا وقد اتخذها مثلا لانعدام الغاية ٠

أما أغانى أفريقيا فانى وان كنت أوافق المؤلف فى أن الافريقيين لن يقرأوها وان الغرب الظالم المستعمر لن يقرأها أيضا فلمن ألفها اذن الشاعر السودانى الفيتورى فانى اخالفه فى أن هذا الشعر لن يذهب سدى انه يوقظ ضمير كل قارىء بالعربية وضـمير العرب جزء هام من الضـمير الانسانى ان لم يستطع شيئا مباشرا لاخواننا فى جنوب السودان فهو يستطيع كثيرا بطرق غير مباشرة ويستطيع فى المستقبل ان شاء الله ٠

أدب المقالة الصحفية في مصر - أحمد لطفي السيد

للدكتور عبد اللطيف حمزة

خطت الصحافة المصرية فى السنين الخمسين الاخيرة خطوات واسعة نحو التقدم والرقى . ولكن هذه الخطوات فى حد ذاتها خليقة بالدرس من عدة نواح من أهمها ولا شك ناحية الدلالة على التطورات الخطيرة التى حدثت فيما نسميه اليوم بالرأى العام . فلقد كانت الصحافة فى أول أمرها لاتعرف لهذا المسمى معنى ولاتحس التجاوب الحق بينها وبين قرائها اللهم الا صفوة ممتازة منهم ولعل الأهم من ذلك أنها لا تحس بأى نوع من انواع المسئولية نحو قرائها لا لأنها لم تكن تعتمد عليهم ماديا فالصحافة فيما أعرف لا تزال تعتمد على القراء ماديا ولكن لأنها لم تكن تحس ان لها رسالة معينة من واجبها ان تقوم بأدائها .

وأدب المقالة بالذات اكثر مايكشف عن هذا التطور الخطير فى عالم الصحافة المصرية ففى هذا اللون بالذات من ألوان الكتابة فى الصحف تظهر بوادر الوعى وتقدير المسئولية وبوادر أستقلال الرأى وأحساس الصحفى بما يجب ان يحس به الصحفى المخلص لمهنته وهو أنه انما صوت يعبر عن الشعب من جهة ويرشده فى الوقت نفسه من جهة أخرى .

ولقد قام الدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة ببعض هذه الدراسات فى سلسلة من الكتب هذا هو الجزء السادس منها وقد خصه بالفيلسوف الكبير احمد لطفى السيد .

واذا كان موضوع السلسلة عامة هاما من الناحية المصرية فان موضوع هذا الجزء بالذات أهم ماقد تعرض له المؤلف الى الآن .

فليس احمد لطفى السيد بالشخصية المجهولة لدى أحد من المصريين ولكن حقيقة هذه الشخصية وماقد قامت به من أعمال فى سبيل مصر هى

التى يجهلها اكثر شباب هذا الجيل • ذلك اننا نعرف أستاذنا الأكبر لطفى السيد لأن أساتذتنا حرصوا على أن يعرفونا به ولكن شباب هذا الجيل لايكاد أساتذته يذكرون له شيئا عن هذا الرجل العظيم •

ولقد هممت اكثر من مرة أن اطلب الى أستاذى الأكبر ان يؤرخ حياته ففى هذا التاريخ تاريخ مصر فى حقبة من أهم أحقاب تاريخها ولكنى كنت أبدا أخشى أن أكون متطفلة أوجاهلة فلعل الأستاذ قد فعل ذلك وأنا لاأدرى حتى طلعت علينا احدى المجلات منذ اعوام بنبذات من هذا التاريخ كتبهـا الأستاذ فى صورة مذكرات فاذا هى على اختصارها وبلمحاتها الخاطفة توحى بان هذا الطلب قد أصبح أوجب مايكون • ولما جاء مؤلف الكتاب ليؤرخ حياة الاستاذ الأكبر لم يجد أمامه سوى هذه المذكرات ليتنقل منها بعض الأضواء على شخصية المترجم له •

أن فضل لطفى السيد على المصريين يتلخص فيما أرى فى أمرين بالغين من الأهمية أقصى الدرجات ذلك أنه ابو الجامعة وصاحب الجريدة فهــو بالجامعة التى عمل على أنشائها اكثر من عمل والتى رعاها وليدة وخدمهـا عدة مرات كمدير لها بل التى أوجد فكرتها وسعى الى تحقيقها ، ثم حماها من كل أعصار كان يعصف بها قد اوجد فى مصر لأول مرة فكرة التعليم الصحيحة • وفكرة العلم للعلم والبحث للبحث •

ولعل هذه الأمور تبدو لنا بديهيات الآن ولكنها زمان الأستاذ الأكبر لم تكن كذلك وانما كانت فكرة التعليم لأمداد الحكومة بالادوات هى الفكرة الوحيدة المعروفة ولا أقــول الســائدة • كان لابد لخير هذه الأمة من أن تنفض عنها أول آثام الاستعمار وهو الأنحراف بالتعليم وبفكرته عن أن يخدم المستعمرين وكأن لطفى السيد بطل هذه المعركة ومتوجها فى الوقت نفسه •

دخلت عليه مرة فى غرفة مدير الجامعة وكنت اذ ذاك طالبة أحرر صحيفة اتحاد الطلبــة لآخــذ منه حديثــا لهذه المجلة • فابتدرنى بالشكوى من

الأساتذة الذين يحدثونه فى غير العلم والطلاب فلما قلت له انك مدير الجامعة قال مدير الجامعة كبير أساتذتها يعاونهم فى مهمتهم وييسر لهم سبل الاستزادة من العلم والتمكن من تعليم الطلاب وليس مدير الجامعة مدير ادارة يتحدث عن كادرات أو عن ميزانية • وضحكت اذ ذاك وقلت اذن لابد للجامعة من مدير ادارة ومدير علم• وأنا أعرف أنه كان رسول فكرة وأنه كان يؤمن بفكرته وأنه لولا هذا الايمان لما وجدت فى مصر جامعة بل جامعات •

ولعل الفتاة المصرية بالذات مدينة لهذا الأستاذ الأكبر بدين لا يمكن أن توفيه حقه ، أنها مدينة له بأنه هو والدكتور طه حسين الذى فتح لها أبواب الجامعة ولم يستأذن الحكومة اذ ذاك فى هذا ولو قد فعل لظلت الفتاة على أبواب الجامعة ربما الى اليوم دون أن تدخل ولما جاءت حكومة أرادت أن تحرج المدير فأرسلت اليه تسأله هل صحيح أنه قبل الفتاة فى الجامعة كان رده على ذلك أنها تدرس منذ احد عشر عاما ولاسبيل الى ردها •

واما فضل لطفى السيد فى الجريدة فلقد كان عظيما بل أعظم • ذلك أنه لاول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية يجتمع نفر لاصدار جريدة تعبر عن رأى المصريين والمصريين وحدهم • فلقد كانت جريدة المؤيد تعبر عن رأى السلطان وجريدة « المقطم » تعبر عن رأى الانجليز أو السلطة الحقيقية ولم يكن فى الشرق جريدة واحدة تعبر عن صوت المصريين الذين يتنازع هؤلاء وهؤلاء على السيطرة عليهم • وفى أول عدد من الجريدة كما نقل الينا المؤلف نجد هذه الغاية الكبرى ترسم لاول مرة • غاية خلق رأى عام يعرف مايدور حوله ويكون له صوت فى تقرير مصيره لعله أولى هذه الأصوات بالاستماع اليه •

وفى افتتاحية هذا العدد الأول دستور صحفى ممتاز دستور تلتزم فيه الجريدة بواجبات الصحافة الحقة وتقدر مسئوليتها خير تقدير واذا صوت

الأمة يسمع فى المسائل العامة لاول مرة على لسان الفيلسوف الأكبر .
الذى درس الفلسفة فلم تبعده عن الحياة وأنما بصرته بحقائقها الكبرى .
وولد فى بيت نعمة فلم تبعده النعمة عن الشعب الكادح وأنما كانت اداته
فى تفهم الشعب من حوله مثل لطفى السيد الترف العقلى والمادى ولكنه
مثل هذاالترف فى جوهره السليم فاذا هو ترف يتيح مايجب أن يتيحه
الترف من وقت ومواهب لفهم الحياة فهما عميقا صحيحا . لذلك عندما
تحدث لطفى السيد فى الجريدة بلسان الشعب نطق فعلا باحساسه فى
شتى النواحى .

نادى بالمصرية فى عبارة سهلة مفهومة بعيدة عن طلب الاعجاب
نادى بحق الوطن المصرى على أبنائه نادى بالمصرية لأول مرة
فى التاريخ الحديث وغذاها بكل ما يمكن أن تغذى الفكرة من براهين عقلية
وعاطفية « مصر ذلك البلد الذى ولد الحضارة مرتين » ثم يبين للمصريين
كيف أن صالحهم ليس فى أن يشايعوا فرنسا بغية أن تنصرهم على انجلترا
ولا فى أن يمالئوا العثمانيين بغية أن يساعدوهم على الانجليز وانما
صالحهم فى أن يهيئوا أنفسهم ويعدوا شعبهم لأن يكون مصريا متعصبا
لوطنه مستعدا للجهاد فى سبيله دون الأعتماد على شىء الا على نفسه .

وهكذا أستطاع لطفى السيد أن يزيل الأوهام السياسية فى ذلك العصر
ليخلص فكرة الوطن من الشوائب وأراد أن يجمع المصريين على كلمة واحدة
وعلى أن يكون لهم رأى فى مصيرهم وأموالهم وسمى هذا الرأى لأول مرة
فى تاريخ الصحافة بالرأى العام . لذلك اضطر الى أن يعرفه .

« لا يكون أهل الوطن الواحد أمة الا اذا ضاقت دائرة الفروق بين أفرادها
واتسعت دائرة المشابهات بينهم . وأن أظهر المشابهات فى حال الأمة
السياسى هذا التشابه فى الرأى بين الأفراد وهذا ما يسمى بالرأى العام . »

ونتحدث اليوم كثيرا عن الرأى العام ولانذكر ان أستاذنا الأكبر كان

مضطرا الى تعريفه منذ أقل من نصف قرن حتى يستطيع أن يوجده ، يوجد فكرته ومعناه بين المصريين ٠

وهكذا استطاع لطفى السيد الذى جمع بين الثقافة الشرقية العربية والثقافة الغربية جمعا مثمرا ممتازا ان يوجه الرأى العام طوال عمر الجريدة التى تخرج فى مدرستها أكثر كتابنا الكبار أن لم يكن كلهم بلا استثناء ٠ كانت الجريدة جامعة فكأنما أنشأ لطفى السيد جامعتين لابد لكل أمة ناهضة منهما جامعة للعلم والعلماء وجامعة للشعب وللرأى العام ٠

والمؤلف يعرض لنا من سيرة المترجم له صورا أخرى شائقة الى جانب هذه الصورة ذات الخطوط الرئيسية فى رسالة الأستاذ الأكبر ٠ صورا كهذه الصور الأولى عن طفولة الأستاذ الأكبر فى قرية برقين حيث تعلم أول ماتعلم فى كتاب الشيخة قاطمة ولست أدرى بهذه المناسبة أكان ادخاله لنا للجامعة أثرا من آثار تلك الشيخة فى نفسه أيام الطفولة ٠ أو صورا لنضاله السياسى الذى يبتسم بنفسه العالية ابدا يوم أخذ يسعى لدى السلطات لايجاد علم مصرى يتميز عن العلم التركى بسبب حادثة الباخرة المصرية التجارية التى اعتدى عليها فى البحر وهى تحمل العلم العثمانى وسعيه لدى السلطات لسفر الوفد المصرى ليمثل وجهة نظر مصر أمام لجنة الصلح بعد الحرب العالمية الأولى ٠ أو كسره القلم كما قال لما رأى الحزبية تفرق بين أبناء الأمة فى المحن فتفرق الجهود أبان الأزمات ٠ كل هذه صور خالدة من حياة العظيم وكلها صور خالدة فى الوقت نفسه من حياة مصر ٠

أما أسلوب لطفى السيد ودفاعه ، عن اللغة السهلة البسيطة وتمسكه بأن حياة اللغة العربية فى قربها من لغة الحديث لافى بعدها عنها فكل هذه امور أدبية محصنة نالت من عناية المؤلف قسطا وافرا لأنها لباب الدرس الذى يتعرض له ٠

وبعد هل لى أن أتقدم برجاء لأستاذى الأكبر أمد الله فى عمره أن يكتب مذكراته بالتفصيل حتى تعرف مصر الكثير مما تجهل عن هذه الفترة من فترات حياتها ٠ أن هذه المذكرات لاتؤرخ حياة فرد وأنما تؤرخ حيـــاة أمة وحياة جيل ولهذه الأمة ولهذا الجيل على الأستاذ الكبير دالة قبل أن يكون لها عليه واجبات ٠ فهل نطمع فى هذا !٠

الحريّة الحمْراء

للأستاذ حبيب جاماتي

تحتفل مصر بعيد حريتها وتذكر تلك الأيام الخالدة فى تاريخها يوم ثارت كما ثارت على مر التاريخ لتطرد الظلم من أرضها ولتنكل بطاغية قد اذاقها العذاب ألوانا.

وخير مايحتفل به الكتاب فى هذا العيد هو ان يسجلوا له ولمثله مايستحق من تمجيد وأن يرفعوا للمحتفلين مع الرايات والأعلام صفحات تذكرهم بما قد قام السلف من جهاد فى سبيل هذه الحرية التى بها ينعمون وصفحات أخرى تذكى نار الحماس وتولد الرغبة الصادقة فى العمل السلمى والحربى لرفع القيود التى ما زالت بحكم وجود المستعمرين تقيد من هذه الحرية .

وهذا كتاب أخرجته دار الهلال فى سلستها الشهرية فى اوانه وموعده كتاب يتحدث فيه الأستاذ حبيب جاماتى عن «الحرية الحمراء» . تلك الحرية التى اصطبغت بما أريق من دم فى سبيلها بهذا اللون الذى يدفع على الأقدام ويحض على الجهاد وأستمرار الجهاد فى سبيل أثمن مايمكن أن يسعى فى سبيله أنسان وهو حرية الأفراد والشعوب

والكتاب فصول كثيرة متفرقة قصيرة كلها صور خالدة من صور هذا الجهاد فى سبيل الحرية وقد جمعها صاحبها من تاريخ مصر الحديث والقديم ومن تاريخ بعض البلاد العربية الحديث .

والصور المصرية حديثها وقديمها يكاد يكون كل الكتاب . وأما الصور العربية فهى قلة قليلة آخر الكتاب . ولعل السبب فى ذلك أن الكتاب تخرج للمصريين فى مناسبة خاصة بهم ذلك أن تاريخ شقيقاتنا العربيات قديمة وحديثة مفعم بالصور النادرة من صور الجهاد فى سبيل الحرية .

وأما الصور المصرية فأنها بدورها لاتتبع بالطبع صور تاريخ مصر كله وإنما هى صور من ثورتنا الحديثة الأولى ثورة سنة ١٩١٩ وصور من اغوار التاريخ أيام الفراعنة . وكأنما الكاتب قد أراد أن يربط بين هذا التاريخ القديم المعن فى القدم الذى يميز مصر بالذات من سائر جيرانها وبين هذا الحديث الذى نعيش فيه .

أما الصور الاولى التى جمعها المؤلف عن ثورة سنة ١٩١٩ فهى أروع مافى الكتاب فيما أرى . ذلك أن الكاتب قد أستوحاها من حياة عاصرها بالفعل وهى بلا شك أقوى دلالة ومن سائر صور الكتاب على الغرض الذى من أجله ألف . هى صور عاصر المؤلف بعض أحداثها وخاض غمار البعض الآخر مع أبطالها المجهولين الخالدين واستقى الخبر فى بعضها الأخير من افواه الأصدقاء الذين رووا عن خبرة بل عن مشاركة فى بعض هذه الاحداث

وتمتاز تلك الصور جميعها بانها لاتهدف الى تخليد أسماء القادة البارزين الذين أدى التاريخ نحوهم مايجب أن يؤدى من تكريم وانما هى تهدف الى تخليد أسماء أبطال من صميم الشعب لم نسمع عنهم ولم نعرفهم ولم تأت أعمالهم بجليل اثر أو بتأثير واضح فى مجرى الأحداث . ومع هذا وقفت اعمالهم تناشد الكاتب المرهف الحس ليصورها للأجيال على أنها أعمال الشعب أعمال تدل على الروح الشعبى وتصور الأمة فى مجموعها . وهى كالأدب الشعبى لا يعنيها أن يكون الحادث باسم فلان من الناس . لقد قام هؤلاء الأبطال البسطاء الصغار أحيانا بدورهم الذى قاموا به فى الثورة جنودا مجهولين يعبرون عن الوطن لا عن أنفسهم ويعبرون عن عواطف المجاعة لا عن عواطفهم الخاصة .

هذه صورة أمسالم التى فقدت زوجها فظلت تبيع النابت بعد وفاته برصاصة انجليزى أطلقها عليه وهو يعمل ليمهد الطريق لجيوش الانجليز فى حروبها التى تدافع بها عن امبراطورية غاشمة . وكانت النقود التى

يوفرها من مرتبه ابو سالم والتى يرسل بها الى أمسالم لتستعين بها على العيش لهبا يحرق يديها ولاترى المرأة السليمة الفطرة فيها مايمكن ان يعوض غياب الزوج وشقاءه • لقد أحست أمسالم ماأحسه كل مصرى أذ ذاك أنها مسخرة لمصلحة غيرها وأنها لاتملك الفرار من هذه السخرة وأنها لاتخدع بمال عن قيم عليا فى الحياة • ولما شب سالم الطفل الذى تربى فى أحضان بائعة النابت كانت الثورة مندلعة وكان كره الانجليز فى دمه • وفى مظاهرة علا الفتى الصغير شجرة وصوب الى رأس الجندى الانجليزى حجرا وهويقول أين أبى ياجونى فأرداه قتيلا ولكن كوكبة الفرسان تنتقم فى الحال واذا رصاصها يصيد الفتى من على غصون الشجر كما يصيد العصافير • وتسقط جثة الفتى ويراها المؤلف بنفسه • وتعود أمسالم وقد أضناها الحزن لتنادى من جديد على فولها النابت • وفى الصدر ثورة وبين طيات القلب دعاء • واذا سعد زعيم الأمة يفتتح صدره لأمثال أم سالم فأذا الثورة كلها تحس أنها تمخضت عن راع أمين ويسعى المؤلف الى بيت سعد يقص قصة أم سالم ويرتب لها الزعيم معاشا من ماله مال المصرى لامال الانجليز تقضى به شيخوخة حزينة حتى تموت •

وابن البواب صورة لاتقل عن الصورة الأولى روعة • هى قصة مرسى الفتى الصغير الذى رأى فى مظاهرة من المظاهرات كيف أخذ جندى العلم المصرى ليمسح به حذاءه فلا يمكنه مرسى من ذلك وأنما يندفع ليأخذ العلم ويعدو به لينقذ كرامة الشارة التى تدل على وطنه ويروح نداء لتلك الوثبة الجريئة ولكن بعد أن يكون قد جنب العلم مهانة وحماه بدمه من تراب حذاء •

وبين الصور صورة أخرى عن العلم صورة عن هذه الأسرة التى توارثت حمل العلم المصرى ثلاثة أجيال تذود عنه بدمائها وتورث الجيل القادم من أجيالها ميلا خاصا وحبا فريدا فى أن تكون المهمة التى يضطلع بها أبناؤها هى حماية العلم •

ولست أدرى لماذا يمزج على نحـــو ما الكاتب بين هـاتين الصــورتين ليخرج لنا منهما قصة العلم من بين هذه الصور والواقــع أن الكتاب كلـه ليس قصصا بالمعنى الصحيح وأنما هو مذكرات أو مدونات لصـــــور خاطفة عابرة مملوءة بالقوة مفعمة بالايحـاء ولكنها من الناحية الفنية لـم تستغل بعد • لذلك يحس القارىء أنها فى الواقع أمام مشروع قصـــة وليس أمام قصة • أمام معالم صورة وليست صورة واضحة •

خذ مثلا قصة « شم النسيم » فى المعادى كم كانت تحسن لأن تكون قصة رائعة وهى وحدها فيما أظن التى قيلت على لسان الضابط البريطانى معترفا ببشاعة ماكان يقدم عليه الانجليز ابان هذه الثورة من أعمال •

أما الجزء المصرى القديم فلست أدرى أيضا لماذآ أختار المؤلف بالذات قصصا عن قمبيز وعن كليوبطرا ضمن ماأختار من قصص كما فعل شوقى مثلا • وفى قمبيز قد برر الموقف بان الأجنبى الغاشم أخذ أمام « داشيتا » الكاهنة بنت الكاهن الساحرة احبت الساحر والطبيبة زوج الطبيب فعرفت كيف تقوده بوعودها الكاذبة بالنيابة عن قومها الى حتفه وهو لايدرى • ولكن قصة كليوبطرا وادخال القميص الأبيض المصنوع من القطن المصرى فيها لاأجد لها نفس القوة ولا أرى فيها الوضوح الذى يمكن من تذوقهـا لقد مات عدو مصر وعشيق ملكتها الغريبة عن الوطن المصرى بأيدى قومه الثائرين لحريتهم ويطعن فاذا دمه يغرق هذا القميص المصرى • الذى صنعته الملكة والوصيفات • فما دلالتـه فى القصة لقد كفن فيه كما قد طلب فيما تقول القصة ، يريد الكاتب بذلك أن يقول أن القائد لقى حتفه عـلى أيدى أبناء وطنه مكفنـــا بقميص نسج المصريون له من أحـــداث قـادت الى هـــذه الخاتمـة لأنـه غـزا أرضـــهم • • • ولكن أليســـت هى ملـكة غير مصرية التى نسجت له هـذا القميص فما شأن الشعب المصرى بملكة عابثة أنزلت قائدا غاشما من سلم المجد ••

وكذلك قصة النوبى الذى استخلص حريته من براثن السبع هى بدورها أيضا تفتقر الى الكثير من توضيح الدلالة •

وأما الجزء العربى فلعل خير ماكتبفيه ممايمس الشعور المصرى فى قوة أقوى هو ماصور به آقوال الشاب الشهيد الخالد عبد القادر موسى الحسنى

ويختتم الكاتب مجموعته التى تضم اثنين وعشرين صورة بفكرة جميلة لم تستغل هى بدورها الاستغلال الكافى ولكنها موحية ايحاءا قويا وهى الموال آللبنانى الذى يبدأ

حبسوك ياسبع جوا قاعة الاظلام
اياك تقول آه يقولوا السبع غلبان
اصبر على وعدك والمقدر كان

فالفكرة أن ترداد هذا الموال على ناى شعبى من منشـــد مجهول أيقظ الحماس فى قلب أسير القلعة فهب ليجاهد من جديد • ولاشك أن أثر هذه الأناشيد الشعبية التى ظلت تتردد على لسان كل شعب جريح ماهى ألا دليل واضح على أن القادة قد يلقون ما يلقون من مصير ولكن روح الشعب خالد ابدا تعبر فى أحلك الأزمات عن الأمل والحياة والقوة شتى التعابير •

وعي الشباب

للاستاذ واصف البارودي

كنت أحب فى هـذا الحديث أن أتحدث عن قصة الدكتور حسين هيكل الأخيرة « هكذا خلقت » ولكنى التزمت فى هذه الأحاديث أن أعرض آخر ما قـد أخرجت المطابع لذلك فاتنى الركـب وكتب النقـاد فى هذه القصة وقالوا أكثـر ما يمكن أن يقال عنها ٠

وهذه قصة أيضا قصة بقـلم أديب لبنانى لا أعرفـه فلا أستطيع أن أضعه بين الشيوخ أو بين الشباب ولكنه على كل حـال ينبض بشـعور الشباب ويحاول بقصته تلك أن يجعل وعى الشباب فى البلاد العربيـة بل الشرقية عامة هو المسئول الأول الذى عليه عبء تحرير هذه الشعوب والنهوض بها ٠ ان الشباب فى العصور القريبة كان لا هيا عن نفسـه لا يكاد يجدها لاهيا عن أمته لا يكاد يعرفها فكيف يمكن لأمة هذه أحوالها أن تلحق بركب المدينة أو أن يسعد أهلها ٠

والكاتب منذ أول صفحة فى المقدمة يعترف بقصور هـذه القصـة عن أن تكون أثرا فنيا قصصيا يقول عنها هى محاولة فى الاصلاح اتخـذت شكل القصة ويكفيها أنها تثير الأبحاث فى الموضوعات الحيـوية فى نمو الحياة وفى المجتمع وفى الافراد ولا سيما الشباب ٠

ثم يقول « وليست الأهمية فى مظاهر الخطأ والصواب بل فيما يجب أن تثيره قضية الشباب من دروس وأبحاث تستمد مناهجها من واقع شبابنا ومن واقع مجتمعه وواقع البلاد التى يعيش فيها ٠ وتقتبس مواردها ممـا يحتاج اليه الشباب فى حياته فردية واجتماعية على ضـوء العـلم الصحيح

وتطور المجتمع فى التاريخ • متجهين الى ماتهدف اليه الشعوب العربية من أمان وآمال ومثل » •

والواقع أننا كلنا فى الهم شرق كما يقول • فالقصة يمكن أن تتخذ مسرحها بدل بيروت القاهرة أو دمشق أو بغداد ويمكن أن تتخذ من الشباب والشيوخ الذين صوروا فيها شبابا وشيوخا من أى قطر عربى وكذلك الأحداث أنها جميعا نموذج مختار لما يحدث فى كل بلادنا العربية وهى جميعا تؤدى الى نفس النتائج التى أدت اليها هذه الحوادث فى مسرحها بيروت وفى حياة شخصياتها اللبنانيين •

فهذا شاب قوى صريح طيب القلب شجاع يتزعم اخوانه لقوته وفتوته • وهذا زعيم غادر خائن يتمرغ فى الرشوة والغش ويطلق لابنه عنان الملذات ويطلق لنفسه يده يستعبد من يشاء ويسخر لمطامعه من شاء • واذا هذا الشاب يقود المظاهرات تهتف باسم الزعيم وتمجده • وهذه هند بطلة القصة جعلها المؤلف رمزا للحياة الحقة فى جوهرها وحقيقتها كما هى • تتصدى لهذا الشاب الجامعى وهى جامعية مثله لتقول له على رسلك يا أخى • لماذا تهتف باسم هذا الزعيم وتقود من أجله المظاهرات • بربك قل ماذا فعل وبم يستحق هذا الهتاف ملء حناجركم البريئة أليس هو الذى أفقر الشعب ، أليس هو الذى يتلاعب بمصالحه ليثرى أليس هو الذى خلق مشكلة أصحاب السينما وخرجتم فى مظاهرة ليربح هو من وراء هؤلاء التجار الأثرياء رشاويه ويفيق الشاب على صوت الحياة صوت هند زميلته •

وأخذ الشاب يراقب هذا فاذا هى مثل للحياة المستقيمة الصحيحة ويحب الفتى فتاته ولكن دون الزواج عقبات أهمها أن والد هند يد من أيدى هذا الزعيم المزعوم يعمل فى محرابه على ارضائه وتنفيذ رغائبه وكان آخر ما طمع فيه الأب تملقا للزعيم وتزلفا له ان يخطب ابنته لابن الزعيم المستهتر الطائش •

وتصمد هند فى عفاف وصبر وتتتابع الاحداث والمرض يكاد يقتلها حتى يحتدم النقاش بين خال لها لا ولد له اتخذ منها ولدا وبين والدها المتزلف المستفيد الذى يجرى وراء المادة فيرفع الوالد على الخال خنجرا ما رأته هند حتى صعقت وماتت ، ويشاء القدر أن يصدر فى نفس اليوم بيان فى الصحف يتبرأ فيه الزعيم من ابنه المجرم وكان يمكن للفتى بعد ذلك أن يتزوج فتاته لولا أنها سبقته الى عالم الخلود حيث لا زعيم ولا أيد للزعيم وعلى قبر هند فكر الفتى فى الانتحار فخرجت اليه روح هند تهديه السبيل وتلقى عليه آخر دروسها ليكمل وعيه • قالت له :

جدير بالشباب أن يسترخص حياته وأن يفضل عليها الموت فى سبيل كرامته ومجد أمته وبلاده ولكن بالكفاح لا بالانتحار • والكفاح أمل يطيب فيه الاستشهاد والانتحار يأس تنتشر منه أخبث روائح الضعف والجبن والاستخذاء والانهيار وانما ينتصر على النكبات وعلى الموت نفسه من يعرف كيف يموت •

ثم تقول له « كن رسول الحياة للعرب » بعد أن تفسر له كيف تمت نكبة فلسطين لأن الغرب وشبان العرب على وجه أخص آثروا الانتحار على الكفاح • فيفيق الفتى مرة أخرى على صيحتها كما أفاق يوم نهته عن قيادة المظاهرات للهتاف باسم زعيم لا يؤدى الا لنفسه مايجب أن يؤدى لوطنه •

هذا موجز القصة التى ألفها الكاتب واصف البارودى وأسماها « وعى الشباب » ولعل فيما ذكرت ما يمثل أهم مزايا هذه القصة وأهم عيوبها أيضا • فالكاتب كثيرا ما يترك الحوادث جامدة والشخصيات مبهورة مدهشة ليلقى هو بخطبه وعظاته • انه يريد أن يبلغ الشباب رسالة آمن بها • ان معرفة الشباب لنفسه واكتشافه لذاته وبعبارة أخرى وعيه الصحيح للحياة هو المفتاح الذى سيفتح به الشرق باب

البعث الجديد والنهضة الانسانية المرتقبة • ان العرب محملون بطاقات قوية والعالم كله فى حال من التوتر والخوف والعرب وحدهم يستطيعون أن يؤدو مالا يمكن أن يؤديه واحد من الطرفين المتخاصمين • ولكن هذه الطاقة لن تتحرر ولن تبدأ عملها الا اذا وعى الشباب نفسه • الا اذا اكتشفها على أنغام الحياة نفسها • فيلتفت الى واقعه والى ماضيه ومستقبله ويتبين نفسه وسط هذه الحلقات المتصلة من التاريخ •

أن الكاتب أراد أن يكتب مقالات فى الواقع فصاغها قصة ليوجد مناسبات الكلام ولكن الذى يريد قوله حق صحيح وقد اكسبه بهذه المناظر رونقا وبالتشويق القصصى حياة قوية • فلولا أن هندا أحبت الفتى قيسا دون أن تعرف أنها أحبته ما تقدمت اليه تنهاه عن أن يكون أداة الطامعين • ولو لم يكن أبو هند هو المادى الذى يسير فى ركاب الزعامة ويطمع من وراء العبودية فى الكثير من المادة والوفير من الكسب لو لم يكن أبو هند هو العقبة الكؤود فى سبيل زواج قلبين تحابا فى شرف وعفاف ما كانت لهذه المثالب التى توجه اليه قوتها • انه الشخصية المبغوضة بحوادث القصة لذلك كان من الطبيعى أن نرى عيوبه مجسدة مجسمة وأن نكرهه من أجلها وأن نفيق لأنفسنا لأن أمثاله يحيطون بنا فى كل زمان ومكان ويجب أن نسعى لابادتهم أو ردهم الى سبيل الجادة والاستقامة •

ومن أهم ماصور الكاتب فأحسن تصويره هذه المناجاة بين قيس الفتى الواله وبين والدته الأم المثقفة • ان وجود الأم المثقفة شرط ضرورى جدا لبناء جيل جديد ينهض ويكافح ولا يستخذى ولا يسلم قياده للطامعين • وهذه الأم تعرف من أمر ابنها كل ما يجب أن تعرف والولد يشكو اليها همومه ويسترشد برأيها ويتعرف منها عن الحياة وعن هند وهى من جنسها كل ما يجب أن يعرف بأحسن صورة وأوقع بيان •

كذلك أبدع المؤلف فى تصوير علاقة الشباب بالمجتمع من حوله • أنه يعيش فيه ويجب أن يحترق • وان موازين المجتمع حتى غير المنطقى

منها لا بد من أن يحسب له ألف حساب تقول هند « لا يجوز أن نتحدى المجتمع يا قيس حتى فى تقاليده السخيفة والا انتقمت منا الحياة » ٠

وتقول سلمى القريبة الرفيقة بهند وقيس « علينا ألا نتحدى المجتمع على ألا يتحدى المجتمع الطبيعة ٠ ان المجتمع يشعر أن سعادته منوطة بانسجامه مع طبيعة الأشياء ٠ ثم تردف شخصية أخرى القول فى هذا المجال « يجب ألا ننسى أن خلق المجتمع أسمى من خلق الأفراد التى تكونه فالمجتمع مهما فسد فى تصرفاته وانهار فى مظاهر حياته سيظل أكثر حرصا على الأخلاق السامية ولو نظريا من الأفراد ولا سيما الذين يستغلونه منهم لا يجوز مطلقا لأى عاقل مهذب مثقف أن يسقط تقاليد المجتمع من حسابه » ٠

وهكذا يؤكد لنا الكاتب أن اكتمال الوعى ، وعى الشباب أن يفتح العين على مزايا أمته وعلى عظمة تقاليدها التى ظلت شامخة ثابتة فوق كل فساد فى أحداث الحياة الخاصة أو العامة ٠ ان الشرق بتقاليده والشباب الشرقى بمحافظته على هذه التقاليد يستطيع أن يتحرر وينطلق فى المدينة وأن يلحق الركب بل ان يكون من السابقين لو أنه عرف نفسه ٠ لو أنه اكتمل وعيه فاستطاع أن يحاسب قادته وأن يجزى الذين أحسنوا اليه بأن يعاون ايجابيا فى أن يمكنوه من أن ينهض بأداة الحكم وأن يجازى الذين خانوه وحطموا القيم المعنوية فى حياته بأن يعبر عن رأيه فيهم لا بالمظاهرات والهتافات وانما بالعمل الايجابى ٠

والشرق العربى فى نظر الكاتب قدأخذ يفيق وقد أخذ يسترد بعض هذه المعانى من خضم الأحداث المؤسية ليتمعنها وليكتشف على ضوئها نفسه وما ينتظرها من طريق طويل نحو مستقبل ينتظره وينظره هو دون سائر الأمم ٠

مباهج الفلسفة ول ديورانت

ترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهواني

ليس من السهل ان نقرأ الفلسفة التى تحتاج الى تأمل طويل لأن اكثرنا اصبح من ضيق النفس بحيث انه يريد ان يقرأ سريعا وينتهى سريعا ولا يتأمل طويلا الا اذا كان هذا التأمل لا يحتاج الى كثير عناء ٠

ولكن حال المرأة فى العصر الحديث يحتاج الى تأمل طويل وهى من ناحيتنا نحن الشرقيات تحتاج الى تأمل اطول وأعمق ٠ ذلك ، ان المرأة الغربية قد خطت فى سبيل التقدم خطوات واسعة أوقفتها موقفا يحتاج فعلا الى علاج والغرب يقف وقفة طويلة ليتأمل فى هذا العلاج ٠ لذلك نجد الكتاب والمفكرين يؤلفون الكتب الكثيرة فى هذا الموضوع

ماذا بعد خروج المرأة من البيت وعزوفها عن النسل ٠ أنه لايؤمن بكثرة النسل فى هذه الأيام الا الجهلة وانصاف الجهلة فما مصير البشرية مثلا اذا كثر نسل الجهال ٠ وندر نسل الأذكياء والممتازين ٠ أيكون ذلك ايذانا بانهيار المدنية التى نعيش فى ظلالها ٠

وهذا كتاب ألفه صاحبه دل ديرانت فى الفلسفة ترجم نصفه الى العربية وأصدره فى جزء مستقل الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ونصف هذه الفلسفة فى أمس شئون المرأة فى حقيقتها ونظرتها الى الحياة ومقامها فى المدنية الحديثة وتسببها فى بعض ماعلا العصر الحديث من سمات الاستهتار واللاخلاقية كما يسميها ومصير الانسانية من خلل كل هذه المظاهر المتعقدة المتشابكة والمؤلف يتكلم فى كل هذا باسلوب مبسط فهو معروف فى عالم التبسيط بما الف من كتب كثيرة تقرب الفلسفة وعلومها وتاريخها من الرجل العادى ٠ وتلك مهمة لا شك قليلة لأن

الاسان العادى اذا شارك فى تفكيرالفلاسفة ولوبقدر يسير ضل ولاشك الطريق • وما سر عظمة المدنية اليونانية القديمة الا أن رجل الشـــارع كان يشارك فى تأمل مشكلات الفلسفة ويدلى برأيه فى مجتمعاتها فيرى الفلاسفة المسألة من كل وجهات النظر •

واهم مافى هذا النصف من الكتاب الجزء الذى يعنى بالمشكلات الخلقية فيعرض مشكلة القيم ومشكلة العوامل التى تتحكم فى هذه القيـــم وتحتـل المرأة وماحولها من حب وزواج وأسرة وأبناء المكان الرئيسى فى دستور هذه القيم فهى التى يحدد مركزها كثيرا جدا من الاوضاع الخلقية فى المجتمع الذى تعيش فيه •

ونرى المؤلف كبعض مشاهير المؤرخين يقف بالعصر الحديث ليحدده بظهور الآلة والتصنيع وكيف جنى التصنيع على مدنية عاشت مطمئنة آلاف السنين فاذا هو فى اقل من قرن يقلب دستور هذه المدنية الخلقى رأسا على عقب •

انه يصف كيف انالمصانع قضت على حياة الطبيعة وكيف انها جذبت المرأة خارج البيت وكيف انها تكاد تقضى عــلى فكرة البيت والأسرة فالعائلة لاتريد كثيراً من النسل والابناء بعد ان كانوا عونا فى الحقل أصبحوا عبئا فى بيوت المدن واذا سن الزواج يتأخر كثيرا خشية تحمل المسئوليات وينتج عن تأخره شر كثير • والحل ليس يسيراً ابدا فاغلاق المصانع أمر مستحيل لأن التاريخ كما يقول ديرانت طاقة تندفع أبــدا الى الامام ولايمكن أن تسير الى الوراء فما الحل اذن •

ويرسم المؤلف حلولا اهمها هو العمل على تشجيع الزواج المبـــكر بشتى الوسائل وعلى تشجيع النسل بشتى الوسائل ايضا وفى هذين التشجيعين علاج مؤقت لما سوف تأتى به الأيام •

ولقد اعجبنى كل ماقاله المؤلف عن المرأة أعجبنى دفاعه عن ذكائهـــا وعبقريتها وكيف اثبتت التجارب ان تفوق الرجل فى أية ناحية من هذه النواحى ليس الا وليد الممارسة الطويلة والبنية التى استقل بها لنفسه زمنا طويلا وهى ميدان العمل • ولكن مااعجبنى اكثر من ذلك هـــو الموضوعات الكثيرة التى اتاحت لى مقارنات قوية بين مايصف المؤلف أو يقترح من حلول وبين تشريعنا الاسلامى الحنيف • وكانت تعلو وجهى ابتسامة كلما كدح المـــؤلف ذهنـــه وشحذ فلسفته ليصل آخر الأمر الى جزء بسيط من الشريعة الاسلامية فى علاقات الأسرة وحمايتها ، علاقات الأبوه والزوجيـــة • ترى لو قد ترجمنـــا بدورنا ماعندنا ونشرناه عـلى العالمين الا نوفر بذلك قدرا كبيرا من التفكير والبحث •

لقد كدح المفكرون اذهانهم وشحذ اصحاب المصانع سلطانهم ليعطوا المرأة فى آخر القرن التاسع عشر في انجلترا حقا منحه لها الاســـلام في منتصف القرن السابع وهو حق الامتلاك امتلاك اجرها الذى عملت من أجله وحرية تصرفها فيه • ترى لو قد عرف الانجليز هذا الحق المشروع المعمول به فى الشرق الم يكونوا يوفرون كثيرا من التفكير والكفـــاح والجهاد •

فهرس



Bibliotheca Alexandrina
06385566

الثمن ٧ صـ

دار الجمهورية للطباعة